

بلال حسن التل

المقاومة

من مشروع الوطن الى مشروع الأمة

المركز الاردني للدراسات والمعلومات - جريدة اللواء عمان - ٢٠٠٩

المركز الاردني للدراسات والمعلومات - جريدة اللواء

المقاومة من مشروع الوطن الى مشروع الأمة

■ بلال حسن التل

عمان - ٢٠٠٩

تلفون: ٠٠٩٦٢-٦-٥٦٨٨٧٠١ / ٠٠٩٦٢-٦-٥٦٨٤٢٦٤ فاكس: ٠٠٩٦٢-٦-٥٦٩١٣٣٩ صندوق البريد ٢٨٥٦ الرمز البريدي ١١١٨١ ص.ب: ٣٠٧٦ الرمز البريدي ١١١٨١

البريد الالكتروني info@al-liwa.net info@al-liwa.com

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠٠٨/١٠/٣٥٣٤)


بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

يشكل هذا الكتاب رداً بالأدلة والوقائع. على أولئك الذين روجوا طويلاً لمقولة أن عدونا لا يقهر، وأن الخيار الوحيد أمام أمتنا هو الاستسلام للعدو، تحت مسمى السلام، الذي صار خياراً استراتيجياً للنظام الرسمي العربي. الذي ولد من رحم ثقافة الهزيمة التي شاعت في أمتنا وبذلت المليارات لنشرها وتكريسها. حتى إذا ما جاء أيار ٢٠٠٠ وتموز ٢٠٠٦ وحققت مقاومة الأمة انتصاريها المدويين فانسحب العدو الإسرائيلي من جنوب لبنان مذعوراً عام ٢٠٠٠ وانهزم العدوان الأمريكي الإسرائيلي على لبنان عام ٢٠٠٦، تأكد للعالم كله بأن إسرائيل قابلة للهزيمة. وأن القرار الأمريكي ليس قدراً لا يرد وأن أمتنا قادرة على صناعة النصر وتحرير أرضها وقبل ذلك كسر القرار الأمريكي الذي يسعى لتقزيم أمتنا وإبقائها في دائرة التبعية والإنكسار.

لقد انهزم العدو في تموز ٢٠٠٦. رغم أنه كان مدعوماً بصورة مباشرة من الآلة العسكرية والسياسية الأمريكية على وجه الخصوص، والغربية على وجه العموم مع تواطؤ مخجل من بعض مكونات النظام الرسمي العربي. لكن بعض عملاء هذا العدو من الناطقين بالعربية لا يريدون الاعتراف بهزيمة إسرائيل وانكسار القرار الأمريكي على صخرة مقاومة الأمة. وهؤلاء العملاء لم يعترفوا حتى بما اعترف به العدو من هزيمته أمام صمود المقاومة وتضحياتها. مثلما لا يعترفون بما يجري على أرض الأمة وفي واقعها من تغيرات تشير صفحات هذا الكتاب إلى بعضها وهي صفحات تقدم جهد المقل في معركة الأمة. خاصة على صعيد جبهة الثقافة أكثر الجبهات شراسة في المواجهة بين أمتنا وأعدائها. فعندما تهزم الأمة في عقول أبنائها ونفوسهم تهزم أمام عدوها. لذلك لابد من تكثيف الجهود في معركة الثقافة من خلال العمل على بناء ثقافة المقاومة وتعميقها ونشرها. خاصة من خلال التركيز على التحولات الإيجابية في حياة الأمة وأهمها إنجازات مقاومتها. وفي هذا الإطار يأتي هذا الكتاب كحجر في مشروع بناء ثقافة المقاومة. التي بدأت تؤتي أكلها انتصارات متوالية في معارك الأمة في فلسطين ولبنان والعراق وحيثما تجري المواجهة خاصة على جبهة الثقافة.

الانتصار في مواجهة المشروع الأمريكي للشرق الأوسط الجديد

التداعيات وآليات التعامل معها

شكل (١) الانتصار الذي حققته المقاومة الإسلامية في لبنان ممثلةً بحزب الله منعطفاً هاماً في تاريخ أمتنا المعاصر على وجه العموم، وفي تاريخ صراعها مع عدوها على وجه الخصوص. وأول تداعيات هذا الانتصار أنه أساس مع الانتصار الذي سبقه عام ٢٠٠٠ والذي حققته المقاومة الإسلامية أيضاً، بإجبارها العدو على الانسحاب من جنوب لبنان لصورة جديدة للعدو. أكدت ما سبق وأن ذهب إليه سيد المقاومة السيد حسن نصر الله مبكراً عندما قال: إن اسرائيل ليست قوية إلا في أذهاننا فقط وعندما يسقط هذا الوهم ونستخدم القوة الكامنة فينا سنجد أن هذا الكيان الذي اسمه اسرائيل أوهن من بيت العنكبوت، وهذه الصورة الجديدة التي رسمها انتصار حزب الله هي أنه: عدو ضعيف غير قادر على الصمود في أي مواجهة حقيقية، وأن أمتنا قادرة على الانتصار عليه بفعل عوامل الضعف الكامنة في بنيانه والتي حاول خطاب الهزيمة أن يخفيها عنا. وأن يستبدلها بصورة مغايرة تكرس هزيمتنا.

إن الدراسة المتأنية لواقع الكيان الصهيوني تؤكد قناعة السيد بأن اسرائيل أوهن من بيت العنكبوت. ونحن هنا لا نلقي القول على عواهنه بل نستند إلى تقارير وأقوال العدو نفسه فها هو الخبير القضائي لإسرائيل موشيه نغبي في كتابه "أصبحنا مثل سدوم: في المنزلق من دولة القانون إلى جمهورية الموز" يعدد الآفات التي تفتك في الكيان الصهيوني فيكتب قائلاً: عصابات الإجرام المنظّم تزرع العنف في شوارع اسرائيل. وأذرعها تتغلغل في سلطات النظام الحاكم وتهدّد بأن تمسّ بالديمقراطية من الداخل. قتلة، مغتصبون، أزواج عنيفون وتجار نساء يتجولون بيننا طلقاء بسبب حدب الحاكم. أماكن لوائح المرشحين للكنيست تباع في وضح النهار عداً ونقداً أو بما يوازي النقود، والساسة الذي يشترونها هم الذين يشرّعون قوانيننا.. مواطنون عاديون يسامون مرّ العذاب في غياهب السجون والمعتقلات دونما ذنب اقترفوه، بينما يواصل مسؤولون كبار، استغلوا مناصبهم لتحسين

بحث قُدِّم إلى مؤتمر الانتصار «خلفيات وأسباب، وتداعيات انتصار المقاومة في الحرب الاسرائيلية على لبنان تموز/ يوليو٢٠٠٦» الذي كان من المقرر عقده في بيروت يومي ١٥ و١٦ آب ٢٠٠٧ بتنظيم من المؤتمر الدائم للمقاومة.

وضعيتهم ووضعية المقربين منهم، جريهم نحو القمة دون حسيب أو رقيب. القضاء العسكري يمنح حصانة للقادة الذين أهدروا بإهمالهم الإجرامي حياة جنودهم أو استغلوا جنسياً جندياتهم، وأيضاً للقادة الذين ينكلون بالفلسطينيين. الإعلام الباحث عن الحقيقة، اللاسع، يفقد نيوبه ويأخذ مكانه إعلام امتثالي وفاسق، وأفظع من كل هذا أن سلطات القانون مشلولة تماماً حيال التحريض والعنف الديني_القومي، اللذين سبق لهما أن أديا هنا إلى اغتيال رئيس للحكومة اسحق رابين في ١٩٩٥.

هذه هي حقيقة الكيان الذي حاول بعض المحسوبين على أمتنا تصويره بالمدينة الفاضلة، وببوابة الديمقراطية، وبالمجتمع القوي الذي لا يمكن التغلب عليه. خاصةً وأنه قد رافق جهود تسويق فكرة قوة وتفوق الكيان الصهيوني محاولةً لتسويق صورة مناقضة لأمتنا باعتبارها أمة متخلفة ممزقة لا يمكن لها مواجهة هذا العدو.

انهيار مجتمع الرفاه

لقد كانت أولى ثمار الآفات التي عددها نغبي في كتابه هي انتهاء أكذوبة مجتمع الرفاه التي حاولت ثقافة الهزيمة تصوير الكيان الصهيوني عليها. وهو ما اعترف به الكثيرون من القادة الإسرائيليين في مختلف المجالات ومن ذلك ما كتبه المحلل الصهيوني انطوان شالحت تحت عنوان _دولة الرفاه الاسرائيلي_ نحو مزيد من الأفول يقول: يشتمل العدد رقم ٣٧ من _أوراق اسرائيلية_ على وثيقتين أعدهما مركز أدفا/ معلومات حول المساواة والعدالة الاجتماعية في اسرائيل. الأولى حول صور الوضع الاجتماعي في اسرائيل العام ٢٠٠٦، والثانية حول الموازنة الإسرائيلية في العام ٢٠٠٧، والتي تضمنت تكاليف الحرب على لبنان في صيف ٢٠٠٦ والنتيجة التي يتوصل إليها هذا المركز، في وثيقته الثانية، الوثيقة الصلة بالأولى، هي أن العقد الأول من القرن الحادي والعشرين الحالي بات من شبه المؤكد أن يرتسم بكونه عقداً اجتماعياً مفقوداً من ناحية اسرائيل. فالتقليصات المقررة العام ٢٠٠٧ في الخدمات الاجتماعية وفي شبكة الضمان الاجتماعي، بحجة تغطية تكاليف الحرب، وتلك المتوقعة العام ٢٠٠٨، تضاف إلى تقليصات عميقة في الموازنة تم تنفيذها في الأعوام ٢٠٠١-٢٠٠٤. وإذا ما تمّ ربط كل هذه التقليصات فإنّ الخلاصة

المطلوبة هي أن العقد الحالي سيكون عقداً كاملاً من الانكفاء الاجتماعي في مجالات التعليم، التعليم العالي، الصحة، السكن والرفاه والضمان الاجتماعي، على ما تؤكد الوثيقة في هذا الشأن، خصوصاً وأن النية متجهة نحو المزيد من صرف الأموال على الاستعداد للجولة الحربية المقبلة، التي تترسخ في الوعي الاسرائيلي باعتبارها شبه حتمية. لعل الكلمة المفتاحية في الوثيقة الأولى هي اللامساواة أو انعدام المساواة في توزيع الموارد، وأساساً في تقاسم ثمار النمو الاقتصادي. ويؤكد كاتبا الوثيقة أنه مع كون النمو في اسرائيل مطروحاً من قيادتها السياسية كهدف مركزي لسياستها في المجال الاقتصادي، إلا أن المعطيات الواردة في الوثيقة تبين أن النمو في حد ذاته، وحين لا يكون مصحوباً بسياسة عامة ملائمة، يمكن أن يظهر كهدف منقوص وجزئي، ففي العقود الأخيرة شهدت إسرائيل سنوات من النمو الاقتصادي الكبير، بل وانضمت إلى مجموعة الدول الغنية في العالم، وذلك بمصطلحات الناتج للفرد. ولكن إلقاء نظرة تتجاوز المعطيات الكميّة لمعدلات النمو، سرعان ما تكشف أن النمو اقتصر فقط على أجزاء من المجتمع والاقتصاد الإسرائيليين، في حين لم يقيّض لأجزاء كثيرة أخرى أن تحظى بشيء يذكر من هذا النمو، وثمة أشكال عديدة لانعدام المساواة، منها ما هو على أساس قومي وطائفي، ومنها ما هو على أساس جندري أو على أساس التوزيعة الجغرافية، وما شابه ذلك، يضاف إلى هذا أن انعدام المساواة ينسحب على كل مجالات الحياة، وهناك تركيز خاص على التعليم والتعليم العالي والخدمات الصحية وكذلك على نظام التقاعد. وإن الأرقام والفجوات التي تقدمها الوثيقة تعرض حال الوضع الاجتماعي في اسرائيل ببريق ساطع، وليس من المجازفة القول إن ما يستكنهه مركز أدفا هو أشبه بتحصيل حاصل السياسة الاقتصادية الاجتماعية المنتهجة منذ عدة سنوات، والتي دقت المسمار تلو الآخر في نعش دولة الرفاه الإسرائيلية، كما سنتوسع في قراءة بعض مداليلها في إطار السطور التالية:

رأى العديد من الخبراء وأساتذة الجامعات في معرض تعقيبهم على نتائج الانتخابات الأخيرة في اسرائيل للكنيست السابع عشر التي جرت في ٢٨ آذار ٢٠٠٦، وحتى قبل أن تندلع الحرب على لبنان في الصيف المنصرم، أن الوضع الاجتماعي سيزداد تفاقماً وذلك نظراً لأن دولة الرفاه الاسرائيلية أخذت تقترب من الأفول أو الزوال.

وذهب بعضهم إلى أن هناك أولاً وقبل أي شيء، ضرورة لفهم حقيقة أن مشكلة الرفاه في إسرائيل لا تقتصر على المواضيع التي خاض فيها زعماء الأحزاب عشية تلك الانتخابات فقط، وهذه المواضيع هي: تقليص البطالة وهو موضوع لم يعد مطروحاً بقوة على جدول الأعمال، رفع أجر الحد الأدنى المتدني، إضافات إلى سلة الأدوية الهزيلة وفرض رقابة على أسعار الأدوية المرتفعة، إجراء تغييرات في نسب ضريبة الدخل ومخصصات التأمين الوطني للمسنين والمعوقين والمتقاعدين وإلغاء أو تقليص شركات القوى البشرية. فإن أية مناقشة جادة في موضوع الرفاه لا بد وأن تتناول أيضاً أجهزة الثقافة والصحة والتعليم والعلم والمساواة لجميع المواطنين في اسرائيل، علماً بأن هذه المجالات كافة تعاني من تدهور خطير جداً، وفقاً لكل المقاييس العالمية الموثوقة. وتحتل اسرائيل مكانة متدنية للغاية في سلم الدول المتطورة والديمقراطية. وإزاء لك فإن أياً من الأحزاب الاسرائيلية بما في ذلك حزب المتقاعدين لا يطرح حلولاً حقيقية للوضع المتدهور الذي يقبع فيه جهاز الرفاه بأكمله.

وطبقاً لبرنامج كديما وتصريحات متحدثين باسمه، فإن هذا الحزب الحاكم متمسك بالسياسة الريغنية والتاتشرية التي يتبناها زعيم الليكود الحالي بنيامين نتنياهو، والمغزى العملي لهذا التوجه هو مزيد من التدهور في وضع الرفاه في اسرائيل، وذلك من جراء التعاظم المستمر لأصحاب رؤوس الأموال، الذين أصبحوا الآن أصحاب السلطة أيضاً، على سبيل المثال فإن الذين تولوا إجراء المفاوضات لتشكيل الائتلاف الحكومي الحالي هم بالأساس محامون يمثلون أثرياء الدولة، أو أنهم أنفسهم من أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة.

ويضيف شالحت قائلاً: قبل أن تصبح عضواً في الكنيست من قبل حزب العمل رأت الصحافية الاسرائيلية البارزة شيلي يحيموفيتش عملت آنذاك في القناة الاسرائيلية التلفزيونية الثانية أن اسرائيل قاب قوسين أو أدنى من أن تكون دولة تسيطر عليها الميزتان الأبرز لجمهورية الموز، وهما المستوى المتدني لنزاهة الحكم، والفجوات الهائلة بين الفقراء والأغنياء.

جاءت هذه النبوءة في سياق "مونولوج فصحي" نسبة إلى "عيد الفصح العبري" كان عبارة عن شكوى حادة صافية وصريحة أساساً من أداء وسائل الإعلام الإسرائيلية التي باتت تتماشى إلى حد التماهي أحياناً مع

أصحاب الرساميل في تأييد السياسة الاقتصادية الاجتماعية التي تنتهجها الحكومة لصالحهم، وتنذر بأن تقضي قضاءً مبرماً على دولة الرفاه، حتى إلى ناحية تجاهل معاناة ضحايا هذه السياسة من السكان اليهود أنفسهم. وإن أداء وسائل الإعلام هذه في ميدان التماثل حتى لا نقول الامتثال مع سياسة الحكومة العامة اصبح هو أيضاً من الأسرار المفضوحة بما لا نحتاج معه إلى عناء التكرار.

وبصدد مسألة نزاهة الحكم في إسرائيل نشير إلى أنه سبق أن جرى تخصيص العدد رقم ٢٨ من سلسلة أوراق اسرائيلية لهذا الأمر، وفيه عرض الخبير القضائي الإسرائيلي موشيه نغبي ما اعتبر أنه فشل ذريع لمنظمة أجهزة سيادة القانون الإسرائيلية في حماية الديمقراطية من الذين يحاولون تدميرها وتقويضها من الداخل لغاياتهم المخصوصة، التي ليس أبسطها التغطية على الفساد المستشري في القمة، وقد احتوى هذا العدد على مقالتين مأخوذتين من كتاب لهذا لخبير صدر قبل فترة وجيزة في خريف ٢٠٠٤ مشتملاً على العرض ذاته، إنما بصورة أكثر سعة وشمولية. وجاء الكتاب تحت عنوان "أصبحنا مثل سدوم: في المنزلق من دولة قانون إلى جمهورية موز. النتيجة التي يخلص إليها نغبي في الكتاب عموماً مفادها أنه لا نهضة ترجى لدولة تخاف سلطاتها من أعداء القانون والديمقراطية، بدل أن يكون سلوكها نقيض ذلك جملة وتفصيلا.

إلى أن يقول: أما فيما يختص بالفجوات الضخمة بين الفقراء والأغنياء، وهي الميزة الأبرز الثانية لـ "جمهورية الموز" على ما قالت يحيموفيتش، فيمكن استعادة ما سبق أن قاله عالم الاجتماع الاسرائيلي شلومو سبيسكي، وهو كاتب مشارك للوثيقة حول صورة الوضع الاجتماعي، من كون ذلك أشبه بصيرورة "ثقافة تطور" أو "ثقافة تنمية" اقتصادية اجتماعية انطلقت من مبدأ تكريس هذه الفجوات بدايةً بين أبناء الطوائف اليهودية المختلفة إشكناز وشرقيين وبينهم وبين العرب الفلسطينيين المواطنين في اسرائيل، ثم اتسع تطبيق هذا المبدأ لاحقاً ليشمل بعد العام ١٩٦٧ الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة ومن ثم غيرهم على مرّ السنوات الماضية وصولاً إلى الأيام الراهنة.

والفقر أيضاً

وفي نفس إطار التأكيد على زوال أكذوبة دولة الرفاه والقانون والمساواة تدل التقارير على ملمح آخر من ملامح ضعف كيان العدو يتمثل في تزايد نسبة الفقر في هذا الكيان فقد جاء في تقرير الفقر للنصف الثاني من عام ٢٠٠٤ والنصف الأول من عام ٢٠٠٥، الذي نشرته ما تسمى بمؤسسة التأمين الوطني الاسرائيلية والذي جاء فيه أن نسبة الفقراء في اسرائيل ازدادت خلال النصف الثاني من ٢٠٠٤ والنصف الأول من ٢٠٠٥ بنسبة ٣، حيث ارتفع عدد الفقراء من ١,٥٣٤,٣٠٠ إلى ١,٥٨٠,٢٠٠ نسمة نصفهم من الأولاد، وحسب التقرير ارتفع عدد العائلات الفقيرة خلال الفترة المشار إليها من ٣٩٤,٢٠٠ عائلة إلى ٤٠٣,٤٠٠ ما يعني ارتفاعاً بنسبة ٢,٣. أما عدد الأطفال الفقراء الذين عاشوا في اسرائيل خلال هذه الفترة فقد ارتفع من ٧١٣,٦٠٠ نسمة في عام ٢٠٠٤ إلى ٧٣٨,١٠٠ في عام ٢٠٠٥، ما يعني زيادة بنسبة ٣,٤. ويتضح من مقارنة لتقارير الفقر أن نسبة الفقر بين الأولاد في اسرائيل ارتفعت منذ ١٩٩٨ بنسبة ٥٠، وقالت مؤسسة التأمين الوطني في تقريرها أن ١٧ فقط من الأولاد الفقراء تم إنقاذهم من تحت خط الفقر في العام ٢٠٠٥، مقابل ١٩ في العام ٢٠٠٤ و٢٥ في العام ٢٠٠٣، ويستدل من مقارنة لتقارير الفقر التي أصدرتها مؤسسة التأمين الوطني الاسرائيلية خلال السنوات الخمس الأخيرة أيضاً أن نصف مليون اسرائيلي بينهم قرابة ٢٥٠ ألف ولد وفتى تدهوروا إلى ما تحت خط الفقر، ويستدل من مقارنة بين اسرائيل وعدد من دول العالم أن اسرائيل تحتل المرتبة الأولى من حيث تفشي ظاهرة الفقر بين الأولاد ٣٣ تليها الولايات المتحدة ٢٧ وإيطاليا ٢٥ وبريطانيا ٢٤ وكندا ٢٤ ولوكسمبورغ ٢٣.

القنبلة السكانية

ونتيجة لتفشي الفقر وانهيار مجتمع الرفاه دخل ملمح آخر من ملامح ضعف الكيان الصهيوني التي ستقود في النهاية إلى زواله وهذا الملمح يتكون من شقين أولهما تنامي نسبة البطالة وثانيهما تزايد الهجرة المعاكسة من

كيان العدو مما يؤكد انكشاف الزيف وانتهاء الحلم الصهيوني في جر اليهود إلى الأرض الموعودة أرض السمن والعسل وهذا يعني في وجه من الوجوه ضعف القوة البشرية لهذا الكيان فإذا اجتمعت الهجرة المعاكسة مع تدني نسبة المواليد في مقابل تنامي نسبة مواليد العرب في فلسطين المحتلة عرفنا سبب قلق قادة هذا الكيان من القنبلة السكانية التي تهدده.

إن الاستشهادات التي أوردناها في الصفحات السابقة من وثائق اسرائيلية و على لسان باحثين اسرائيليين تؤشر من بين ما تؤشر إليه إلى ملمح مهم من ملامح ضعف الكيان الصهيوني يتمثل في حجم الفساد الذي استشرى في الكيان الصهيوني وهو الفساد الذي وصفه رئيس الوزراء الأسبق لهذا الكيان نتنياهو بأنه سرطان أصاب الكيان وبأنه مستنقع لا يمكن الخروج منه وقد دلت استطلاعات الرأي العام على أن ٨٢ من الاسرائيليين يعتقدون أن اسرائيل دولة فاسدة، أما المستشار القضائي لحكومة الكيان الصهيوني فقد وصف ما أسماه بالفساد الجماهيري في اسرائيل بالوباء، وقد أصاب هذا الفساد كل مكونات كيان العدو ابتداءً من رئيس الكيان الذي اضطر للاستقالة من منصبه بسبب فضائحه الجنسية إلى رؤساء الوزراء المتعاقبين فرئيس الوزراء الحالي أولمرت تطارده تهم الفساد منذ أن كان رئيسا لبلدية القدس مرورا بمواقعه الوزارية وانتهاءً بتهم الفساد التي تطارده كرئيس وزراء وتطارد معه أفراد اسرته وهي تهم تتراوح بين الرشوة والتعيينات السياسية وتسهيل الصفقات. ولم يكن الأمر يختلف مع سلفه شارون وعائلته وملاحقة القضاء لهم بسلسلة من قضايا الفساد من بينها حصول شارون على رشوة بقيمة ثلاثة ملايين دولار بالإضافة إلى فساد أبنه عمري، كما وسبق أن خضع نتنياهو للتحقيق في قضايا فساد من بينها تمويل استطلاعاته من خلال ميزانية وزارة المعارف، ولم ينجو اسحق رابين من الملاحقة بتهم الفساد كذلك.

أما نائب رئيس الوزراء ليبرمان فقد تعدددت تهم الفساد التي وجهت له ابتداءً من التعاون مع المافيا الروسية وانتهاءً بإدارة شركات والحصول على أموال بطرق غير قانونية.

ومثل رؤساء الوزارات ونوابهم كذلك الوزراء فوزير المالية الاسرائيلي

أوقف عن العمل على خلفية التحقيق معه في قضايا اختلاس من بينها تقديم أموال لشخصية سياسية كبيرة كما تمت إدانة وزير القضاء بسبب أعمال مشينة مارسها ضد مجندة، كما قدمت فتاة أخرى شكوى ضده لنفس الممارسات وكذلك اتهامه باستخدام القوة. كما جرى تحقيق مع وزير الزراعة حول رشاوى تلقاها وشبهة فساد في التعيينات. أما عمير ميرتس وزير الحرب أثناء العدوان على لبنان عام ٢٠٠٦ ورئيس الهستدروت فقد اتُهم بخرق قانون الجنسية وقانون عمل النساء.

واللافت للنظر أن تهم الفساد التي وجهت لرؤساء الوزارات والوزراء الاسرائيليين شملت أيضاً عائلاتهم زوجات وأبناء وبنات مما يدل على أن الفساد صار ثقافة عامة في الكيان الصهيوني والأسماء التي ذكرناها أعلاه هي أسماء وزراء عاملين الآن ولو أردنا ضم أسماء الوزراء السابقين الذين وجهت إليهم تهم الفساد فإن القائمة لن تنتهي وكذلك الحال بالنسبة لنواب الوزراء والمدراء العامين في الوزارات وقد تراوح فساد هؤلاء بين الرشوة والاختلاس وتهريب المخدرات والاغتصاب وسوء استعمال السلطة...إلخ.

وفي الكنيست

ومثال الفساد في الحكومة كذلك الفساد في الكنيست حيث تم طلب رفع الحصانة من قبل المحكمة العليا عن عضو الكنيست غورولوفسكي بتهمة تزييف التصويت في الكنيست بالتعاون مع عضو كنيست آخر هو يحيئيل حزان الذي اتهم أيضاً بالسرقة من مخازن الكنيست ومحاولة إخفاء أدلة. أما رئيسة الكنيست روحاما افراهام فقد خضعت هي الأخرى للتحقيق بتهم تلقي رشاوى وخيانة الأمانة، كما اتُهم عضو الكنيست يئير بيرتس بحصوله على لقب جامعي مزور كما اتهم عضو الكنيست بنيزري بتلقي رشاوى مقابل تسليمه معلومات تتعلق بعدد العمال الأجانب المتوقع وصولهم إلى اسرائيل أثناء توليه منصب وزير العمل والرفاه.

ومثلما هو الحال مع الوزراء كذلك الأمر مع أعضاء الكنيست فقد وجهت تهم الفساد أيضاً لأفراد عائلاتهم كما أن إضافة أسماء أعضاء الكنيست السابقين إلى قائمة المتهمين ستطول القائمة.

وفي الأحزاب

ومثل الحكومة والكنيست كذلك استشرى الفساد في الأحزاب السياسية في الكيان الصهيوني فقد وجهت اتهامات بالفساد لزعيمي حزب كاديما وحزب العمل كما قام كل من حزبي كاديما والعمل بفضح الفساد المالي والإداري لدى كل منهما علماً بأنه تم إلغاء ثلث طلبات الانتساب لحزب العمل بسبب خروقات يشوبها الفساد. كما نشرت في كيان العدو تقارير تؤكد بأن عصابات الجريمة تقوم بعقد اتفاقيات مع السياسيين الاسرائيليين لتمويل حملاتهم الانتخابية ومساعدتهم على السيطرة على مناطق نفوذهم مقابل قيام السياسيين بمنح هذه العصابات تسهيلات في المناقصات والبناء والتجارة.

فساد دبلوماسي

ومثل الفساد الوزاري والحزبي كذلك الفساد في الدبلوماسية الاسرائيلية فقد اتهم دبلوماسي في البعثة الاسرائيلية في نيويورك بالمشاركة بأفلام إباحية كما جرى التحقيق مع سفير الكيان الصهيوني في بريطانيا بتهمة تبييض الأموال كما خضع سفير هذا الكيان في واشنطن للتحقيق بتهم فساد كما تمت محاكمة القنصل الاسرائيلي لدى هولندا بتهم فساد من بينها بيع جوازات سفر كما اعترف الوزير شالوم بتدخل زوجته بعمل سفارة الكيان الصهيوني في واشنطن حيث تقدّم السفير بشكوى ضد الوزير وزوجته كما تم اعتقال ابنة سفير الكيان الصهيوني في البيرو لحيازتها ٩كغم من الكوكايين. كما تم طرد القنصل الاسرائيلي من استراليا بسبب تصرفاته الجنسية.

فساد إداري ومالي

ومثلما استشرى الفساد في الجهاز السياسي والدبلوماسي للكيان الصهيوني استشرى كذلك في الجهاز الإداري والمالي لهذا الكيان حيث جرى التحقيق مع رئيس سلطة الضرائب ونائبه في كيان العدو بتهم فساد وجرى

اعتقالهما مع سلفه ومع اثنين من رجال الأعمال الاسرائيليين ومن بين التهم التي وجهت لهم الرشاوى والتهرب الضريبي والتلاعب بالتعيينات.

كما يجري بين الفينة والأخرى اعتقال موظفين رسميين بتهمة بيع معلومات عن اسرائيليين لمحققين خاصين وقد كشف تقرير لمراقب الدولة ما أسماه بالخروقات الخطيرة في السلطات المحلية وقال إن لجان التنظيم والبناء تخدم مصالح سياسية وأن هذه السلطات تتستر على تهرب الجيش من دفع الضرائب من خلال قيام هذه السلطات بفرض ضرائب غير قانونية على الاسرائيليين وفي إطار الفساد الإداري وجهت اتهامات بالفساد للمدير السابق لشركة كهرباء اسرائيل. وقد جاء في أحد تقارير مراقب الدولة حول استشراء الفساد في الكيان الصهيوني أنه يسلم الشرطة ملفات تصل المستوى الجنائي من بين سبع حالات من الفساد يحقق فيها وتشمل شركة القطارات وسلطة المطارات ومناقصات مشبوهة وشركة الكهرباء وخصخصة مصنع أمني وتعيينات سياسية ومحو قروض بنكية في بنك اسرائيل.

فساد أمني وعسكري

حتى المؤسسة الأمنية والعسكرية التي تعتبر من أهم مكونات الكيان الصهيوني لم تنجو من داء الفساد الذي يستشري بها ويفتك بقوتها ويجعلها سهلة الاختراق وأكثر قابلية للهزيمة فقد أجرت لجنة رسمية اسرائيلية تحقيقاً حول تعاون الشرطة مع إحدى عصابات الجريمة المنظّمة ومن صور فساد المؤسسة الأمنية الاسرائيلية الرسالة التي بعث بها الضابط بروفسكي عام ٢٠٠٤ إلى عمري شارون والتي يقول فيها أنه إذا تم تعيينه مفتشاً عاماً للشرطة فسيقوم بتغيير طاقم التحقيق مع عائلة شارون إلى طاقم أكثر راحة. ومن مظاهر فساد المؤسسة الأمنية في الكيان الصهيوني تعيين الضابط يورام ليفي قائداً للوحدة الخاصة لمكافحة الإرهاب في ما يسمى باللواء الجنوبي مع أن هذا الضابط متعاون مع العصابة المعروفة بالأخوة فرينيان، كما يجري بصورة دائمة ترفيع ضباط الشرطة المعروفين بعلاقتهم مع هذه العصابة التي تمارس الإجرام المنظّم كما يتم الاعلان بصورة دائمة عن اعتقال رجال شرطة بتهم

الرشوة والتحرش الجنسي والعلاقة مع عصابات الإجرام.

وعلى صعيد الفساد الذي يفتك بالجيش الاسرائيلي أيضاً فتطالعنا التقارير بصورة شبه يومية عن ممارسة جنود وضباط هذا الجيش للسلب والنهب من منازل المستوطنين ومن ثكنات الجيش وعن بيعهم للأسلحة، وعن نسبة ارتفاع الملفات الجنائية ضد أفراد هذا الجيش ومن بينها جرائم القتل واغتصاب المجندات وارتفاع حالات التحرش الجنسي بهن وممارسات اغتصاب القاصرات من الاسرائيليات بما في ذلك المسنات، بالإضافة إلى تعاطي المخدرات والاتجار بها، وعن تدهور الأوضاع النفسية للضباط والجنود وتزايد الانتحار بينهم وهو ما ينطبق على منتسبي الموساد والشاباك.

فساد قضائي

ومثلما يفتك الفساد في الجهاز السياسي والإداري والمالي للكيان الصهيوني فإنه يفتك أيضاً بالجهاز القضائي هذا الجهاز المتهم بتشجيع الاتجار بالنساء عن طريق الأحكام المخففة كما تم توجيه الاتهام لأكثر من مسؤول قضائي كبير في كيان العدو لتدخلهم في التعيينات وتهم بسوء استغلال المنصب ومن صور الفساد التي يعاني منها القضاء الاسرائيلي اتهام أكثر من قاضية بالتجسس على أزواجهن كما تم إدانة قضاة بتزييف محاضر المحاكمات وإتلاف وثائق خاصة بالقضايا المعروضة عليهم.

فساد المؤسسة الدينية

ولم تنجو المؤسسة الدينية في كيان العدو من ممارسة الفساد فقد خضع الحاخام الاسرائيلي الأكبر للتحقيق بتهم إخفاء الحقيقة كما اتهم هذا الحاخام باختطاف شاب والتنكيل به لعلاقته بابنة الحاخام بمشاركة زوجته وابنه وابنته. كما تم اعتقال حاخام اسرائيلي لقيامه بالاعتداء الجنسي على قاصرات كما نشرت الصحف الاسرائيلية بصورة متكررة تقارير عن ممارسة طلبة المعاهد الدينية الاسرائيلية لتجارة المخدرات.

فساد طبي وتعليمي

حتى المؤسسة التي يُفترض بأنها تتصف بالانسانية وتحافظ على الأخلاق أعني المؤسسة الطبية لم تنج من الفساد الذي يفتك بالكيان الاسرائيلي حيث استشرى فيها الفساد بصورة كبيرة فقد تم ضبط ستة جراحين اسرائيلين بتهمة تقديم بحث علمي لمؤتمر طبي اعتماداً على تقارير كاذبة، كما أشار أحد التقارير التي نشرت نهاية العام الماضي إلى أن ٨٧٠ مريضاً أُخضعوا لتجارب غير قانونية في إحدى المستشفيات الاسرائيلية كما تم اعتقال أربعة من كبار الأطباء الاسرائيليين بتهمة إجراء تجارب غير قانونية على المرضى وذلك خلال شهر تشرن أول من عام ٢٠٠٦، كما كشف النقاب خلال العام الماضي عن تجارب طبية غير قانونية أجريت على ٦٠ مريضاً بداء السكري. وفي واقعة أخرى جرى التحقيق في شهادة تشير إلى وفاة ٦ مرضى جرى إخضاعهم لتجارب طبية غير قانونية في الكيان الصهيوني كما تم كشف النقاب عن عشرات التجارب غير القانونية التي تجري على المرضى المسنين وعن تزييف ملفات المرضى وتقديم معلومات غير صحيحة لوزارة الصحة. كما يتم اعتقال أطباء بتهمة تلقي الرشاوى لتحويل مرضاهم إلى فئران تجارب كما وُجهت لائحة اتهام ضد طاقم طبي اسرائيلي بتهمة التنكيل بمتخلفين عقلياً بمستشفى اتينانيم الاسرائيلي، وفي واقعة اخرى رُفعت دعوى ضد مستشفى اسرائيلي لقيامه باجراء تجارب على ممرض من قبل طبيب محتال كان نزيل السجون.

ومثل القطاع الطبي كذلك القطاع التعليمي الذي تكثر فيه عمليات بيع الشهادات المزورة وقيام العلاقات الشاذة بين المعلمين من الجنسين وبين طلابهم من الجنسين أيضاً.

إن كل ما قدمناه في الصفحات السابقة مجرد نماذج عن الفساد المتجذر والمسيطر على مكونات الكيان الصهيوني ويجعله أكثر ضعفاً يوماً بعد يوم.

جريمة منظمة

في ظل هذا الفساد الذي يفتك بكل مكونات الكيان الصهيوني ليس

مستغرباً أن تنتشر الجريمة المنظمة في هذا الكيان وأن تصبح الجريمة بكل أنواعها ملمحاً أساسياً من ملامح هذا الكيان وخاصةً جرائم القتل حيث لم تتمكن الشرطة الاسرائيلية من كشف حوالي ٦٠٠ قاتل خلال الأعوام الأربع الماضية، ويقول تقرير نشر في الكيان الاسرائيلي أنه خلال الربع الأول من عام ٢٠٠٦ وقع ٢٥٠ حادث طعن ،وسرقة عشرة آلاف سيارة، واقتحام ١٦ ألف منزل، في حين تحدثت أرقام عام ٢٠٠٥ عن ١٣ ألف قتيل ومصاب في ٧ آلاف حادث طريق، وتكثر في اسرائيل العائلات الإجرامية وتؤكد التقارير استفحال الجريمة المنظمة في الكيان الصهيوني.

وتتهم التقارير الحكومة الاسرائيلية بعدم جديتها في التعامل مع العنف المنتشر في الكيان الصهيوني بعد أن أشارت هذه التقارير إلى تعرض ألف امرأة للعنف بالإضافة إلى مئات جرائم القتل خلال العام ٢٠٠٤، واللافت للنظر أن ممارسة الإجرام تشمل كل أعمار وفئات الاسرائيليين حيث تم الكشف أكثر من مرة عن عصابات يرأسها صبية وتتكون من صبيان أيضاً كما تؤكد التقارير ارتفاع نسبة تورط ما يسمى بشبيبة اسرائيل بأعمال العنف.

وفي ظل هذا الانتشار للإجرام الذي يفتك بالكيان الصهيوني تنوعت الجرائم في هذا الكيان غير أن أبرزها الجرائم المتعلقة بالاغتصاب والدعارة والمخدرات ففي تقارير الشرطة أن طفلتين كانتا تتعرضان للاغتصاب من قِبل والدهما وشقيقيهما وأن الثلاثة كانوا يقدمون على اغتصاب الطفلتين بصورة منفصلة مع علم كل منهم بما يفعل الآخران، وهذا النوع من الممارسات يكثر في الكيان الصهيوني ويكشف مدى إفلاسه وانهياره.

وبسبب ارتفاع الجرائم الجنسية تتزايد نسبة المتوجهين إلى مراكز مساعدة ضحايا الاعتداءات الجنسية، ويشارك في هذا النوع من الجرائم مسؤولون كبار في الكيان الصهيوني، فلم تغب عن الذاكرة فضيحة رئيس الكيان الصهيوني كتساف وكذلك مدير عام الرئاسة الاسرائيلية، كما أُدين زوج المليونيرة الاسرائيلية شيري آرسون بالاعتداء الجنسي، وتنتشر في الكيان الصهيوني الشبكات الدولية للاتجار بالنساء التي تجبر آلاف النساء على العمل بالدعارة داخل وخارج هذا الكيان وتؤكد التقارير ارتفاع حالات الاغتصاب الجماعي والاعتداء الجنسي في الكيان

الاسرائيلي عاماً بعد عام، فقد ارتفعت عام ٢٠٠٥ بنسبة ٢٨ بالمئة عن عام ٢٠٠٤ في حين ارتفعت حالات الاعتداء الجنسي عن نفس الفترة بنسبة ٢٥ بالمئة وتشير الاحصاءات إلى ٥٠ بالمئة من ضحايا الاعتداءات الجنسية هم من القاصرين، وخلال الفترة من ١٩٩٥ حتى ٢٠٠٥ وقع في كيان العدو سنوياً ما بين ٤٤٠ - ٦٠٠ اعتداء جنسي ١٥ بالمئة منها داخل العائلة و ٦٠ بالمئة من الضحايا من القاصرين.

لا يتسع المجال لسرد كل أنواع الجرائم التي تسيطر على الكيان الصهيوني وأسباب هذه الجرائم ولكن الثابت أن الجريمة صارت ملمحاً ثابتاً من الملامح التي تضعف هذا الكيان وهذا الملمح مع كل ما أشرنا إليه فيما تقدّم يؤشر على مدى ضعف وهشاشة الكيان الصهيوني اللذين تؤكدهما أرقام الاحصائيات وحقائق الواقع.

ثقافة الهزيمة تقلب الحقيقة

لقد كان من المفترض أن تنعكس هذه الحقائق عن مدى ضعف كيان العدو وهشاشته وعوامل فنائه في مجمل انتاج المثقفين في أمتنا واستثمارها في رفع الروح المعنوية لأبناء الأمة وتعبئتهم لمواجهة هذا العدو ولزرع بذور الأمل فيهم وتحريضهم على المقاومة والتأكيد على قدرة الأمة على تحقيق النصر على عدوها الذي يأكله الفساد غير أن ما جرى وخاصةً بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ عكس ذلك تماماً إذا انتشرت في أوساط الأمة ثقافة الهزيمة وبرز كتابها وصارت شرائح واسعة من المحسوبين على ثقافة الأمة تنظر إلى كيان العدو ككيان قوي ومتماسك وأنه واحة الديمقراطية والنموذج المميز في المنطقة من حيث العدالة والحرية والريادة بل وصل الأمر إلى ما هو أخطر من ذلك عندما صار بعض هؤلاء ينظر إلى اغتصاب فلسطين على أنه استقلال فقد جاء على أحد المواقع الالكترونية العربية ما نصه: اعترف الرئيس الأميركي هاري ترومان بدولة إسرائيل بعد الإعلان عن استقلالها بإحدى عشرة دقيقة. وكان هذا الاعتراف يبشر بإقامة علاقات على أساس قيم مشتركة تتسم بصداقة عميقة واحترام متبادل. ففي كلا البلدين نظام ديمقراطي نابض بالحياة وأرسيت أسس الأجهزة

السياسية والقضائية في كلاهما في تقاليد ليبرالية. ونشأ كلا البلدين من مجتمعين طلائعيين ولا يزال كلاهما يستوعب مهاجرين ويسعى إلى دمجهم في المجتمع.»١» وصار الكثيرون من الكتاب والمحللين السياسيين العرب يؤكدون تفوق اسرائيل على العرب مجتمعين كما كتب الدكتور محمد السعيد ادريس من مركز الأهرام للدراسات الاستيراتيجية يقول: السؤال موجه إلى كل دولة عربية وإلى كل الدول العربية مجتمعة، إذا لم يكن في مقدور أي منها أن تكون قادرة بمفردها على موازنة القوة "الاسرائيلية" والتفوق عليها، وذلك في وقت شرعت فيه "اسرائيل" لأن تتفوق على مجموع القوة العربية ليس فقط في المجال العسكري ولكن في المجالات المهمة الأخرى. وبالذات: الاقتصاد والتكنولوجيا قد يتصور البعض للأسف، أن ما نعنيه هنا بـ "تفوق القوة" "الاسرائيلية" هو مجرد المكانة الرمزية أو الزعامية، لكنه يتعدى الجانب المعنوي إلى الجانب المادي، أي السيطرة والتحكم وفرض النفوذ والتبعية سواء من منطلق وزن القوة والقدرة "الاسرائيليتين" مقارنة بالقوة العربية، أو باعتبارها أي "اسرائيل"، وكيلاً إقليمياً للقوة العظمى الأمريكية، بما يعني أن الوطن العربي في مجمله، والدول العربية متفرقة معرضة لأن تكون منطقة سيطرة ونفوذ "اسرائيلي".

وفي ظل هذا المنطق صار كيان العدو من وجهة نظر بعض المثقفين المحسوبين على أمتنا بيئة مثالية لكل صور التقدم فقد نقل موقع مركز الدراسات الإسلامية عن مقال لماجد كيالي قال فيه: وبالاجمال فإن البيئة الإسرائيلية برغم كل ما يحصل، هي بيئة جاذبة للاستثمارات المالية وللكفاءات من المهاجرين اليهود في حين تبدو البيئة العربية السياسية والاقتصادية والاجتاعية بيئة غير جاذبة بل طاردة! في هذين المجالين.

بل لقد ذهب بعض المحللين والكتّاب إلى محاولة ترسيخ صورة كيان العدو كدولة فوق الدول فقد كتب أحدهم يقول: وبحكم تكوينها و"فلسفتها" "حل نهائي" للمسألة اليهودية، نقيض الحل النازي وطباقه

١- موقع التواصل نت

وذاكرتها المعاد بناؤها لخدمة مطلب الهوية المغلقة من تواريخ يهودية مفتوحة في الأصل، فإن إسرائيل دولة لا كالدول، دولة عليا: تبحث عن أمن مطلق.١

ويستمر الضخ لترسيخ مفهوم التفوق الإسرائيلي إلى أن يكتب أحدهم: بين أية دولة عربية وإسرائيل، بل بين الدول العربية مجتمعة وبين إسرائيل، فارق قوة نوعي، مضمون بكفالة أميركية معلنة ومعروفة، ترتفع إلى مستوى شرعة دولية راسخة.٢ ويمضي صاحب هذا الرأي إلى القول: زبدة القول إن إسرائيل تجمع بين تفوقين: تفوق عسكري وتفوق أخلاقي. الأول تكفله لها القوة الحاكمة عالمياً، وهذه لا يستنفدها التعريف بلغة المصلحة وموازين القوى، ولا تعريف نظامها السياسي ودستورها ونمط حياتها لعله من مجال الدين، ينبغي البحث عما تيح لنا وصف هذه القوة وتفوق أخلاقي "الفضل" فيه لألمانيا النازية.٣

جزء من مكون

لقد اعتمد هؤلاء في محاولتهم لترسيخ مفهوم تفوق كيان العدو في أذهان أبناء أمتنا على مكون واحد من مكونات قيام الدول هو المكون المادي بل إنهم اعتمدوا على جانب واحد من الجوانب المادية هو جانب البحث العلمي فقد نشر أحدهم على أحد منتديات شبكة الانترنت وتحت عنوان "اسرار تفوق اسرائيل العلمي" يقول: التفوق العلمي للكيان الصهيوني على العالم العربي أمر معروف لدى القاصي والداني وهو لا يقتصر على التطور العلمي في مجال الأسلحة بل يمتد إلى الجوانب العلمية والتقنية والأبحاث والتكنولوجيا..لكن أن يوازي هذا التقدم أو يفوق أحياناً دول العالم المتقدم أمريكا، اليابان، الصين، فرنسا، ألمانيا أمر وراءه حتماً أسباب ينبغي معرفتها وقراءاتها قراءة متفحصة لاكتساب الدروس وأخذ العبر، وهذا ما ذهب إليه جمال زهران عندما كتب يقول: ومنذ منتصف التسعينات زاد انفاق العرب على البحث العلمي بحوالي النصف..ورغم ذلك فإن هذا

١- في أصول اللاتناسب الاسرائيلي والإرهاب العربي/ ياسين الحاج صالح-موقع ألوان

٢- في أصول اللاتناسب الاسرائيلي والإرهاب العربي/ ياسين الحاج صالح-موقع ألوان

٣- في أصول اللاتناسب الاسرائيلي والإرهاب العربي/ ياسين الحاج صالح-موقع ألوان

الانفاق لا يزيد على ٢ وهو سبع المتوسط العالمي ١,٤ وبالمقابل يرتفع المؤشر في اسرائيل عن المتوسط العالمي إلى أعلى من ٢ أي أكثر من عشرة أمثال العرب، وإذا أخذنا في الاعتبار التفاوت في عدد السكان وفي حجم الناتج السنوي لاتسعت الفجوة بين العرب وإسرائيل في الانفاق على البحث العلمي إلى أكثر من ٣٠ مثلاً وهذه المقارنة تقتصر على الأبحاث المدنية فلو أضفنا الانفاق على الأبحاث العسكرية لتحولت الفجوة إلى هاوية.

ويكرر نفس الفكرة في فقرة أخرى من مقاله حيث كتب: ويزيد عدد العلماء في الدول العربية على خمسة أمثال عدد العلماء في إسرائيل، ولكن بالمقارنة بين عدد السكان تصبح إسرائيل أغنى..إن في العالم العربي ثلث عالم أو باحث لكل ألف من السكان وهو نصف المتوسط العالمي ٠.٨ في آلاف وعشر المستوى في إسرائيل وهو ٣١٨ في الألف. ولا جدال أن يهود الشتات هم رصيد خارجي لإسرائيل يتميزون بمستوى التأهيل العلمي الراقي في الدول التي يعيشون فيها مثل الولايات المتحدة الأمريكية حيث تطور البحث العلمي واستقر وحسم الخلاف بين المعامل والمصانع١ ويضيف: ووفقاً لدليل النشر العلمي يتدنى نصيب البلدان العربية في عام ١٩٩٥ لأقل من سدس ما هو متوقع منهم في حين يرتفع نصيب اسرائيل من النشر العلمي إلى عشرة أضعاف ما هو متوقع منها وهنا يتعدى التفوق النسبي لإسرائيل عن العرب السبعين مثلاً.٢

إلى أن يقول: ولم يتفوق على إسرائيل في مجال تسجيل براءات الاختراع سوى الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وسويسرا وتايوان وبعد اسرائيل جاءت كوريا الجنوبية وبريطانيا وفرنسا وألمانيا. إن هذه المؤشرات تعني أن تفوق اسرائيل علينا علمياً تجاوز تفوقها علينا اقتصادياً ففي الاقتصاد سبعة أمثال وفي العلم والتكنولوجيا أكثر من ألف.٣ ويضيف: أما العامل الثاني الذي تتميز به إسرائيل، ويضفي عليها قوة مضافة تمكنها من استثمار مواردها المادية والبشرية بشكل أفضل، فيتمثل بطريقة إدارتها لأوضاعها ولمجتمعها، وبنظامها السياسي الديموقراطي بالنسبة لمواطنيها اليهود. فبفضل هذه الإدارة وهذا النظام تتمكن

١- ماجد كيالي/ موقع مركز الدراسات الإسلامية

٢- ماجد كيالي/ موقع مركز الدراسات الإسلامية

٣- ماجد كيالي/ موقع مركز الدراسات الإسلامية

إسرائيل من تجاوز نقاط ضعفها محدودية المساحة وعدد السكان وعداء المحيط، مثلما تتمكن من السيطرة على تناقضاتها ومشكلاتها الداخلية وتوجيهها للخارج، على عكس الواقع العربي الذي يعيد إنتاج علاقات الضعف والتهميش. وللمفارقة فإن التميز الإسرائيلي في هذا المجال هو ما تفتقده حال الكيانات العربية، وهو نقطة ضعفها بالقياس للإمكانيات الكبيرة التي تمتلكه: المساحة_الكثرة العددية_ الثروة النفطية، عوامل تكوين الأمة،٤ ويمضي إلى القول: اللافت أن اسرائيل هذه التي نشأت قبل عدة عقود، تبدو أكبر من حجمها وأكثر قوة من إمكاناتها وأفضل استقراراً من غيرها، خصوصاً بالقياس لحال الكيانات العربية السائدة على الرغم من تحديها وتناقضاتها الداخلية والخارجية، وبالذات على الرغم من تداعيات الصراع العربي_الإسرائيلي...! عليها٥ ويضيف: وما ينبغي الاعتراف به هنا هو أن إسرائيل على الأرجح مدينة بهذا التميز وبالقدرة على الاستقرار والتطور، إلى عاملين رئيسيين: الأول يتمثل بكيفية تأهيلها وإدارتها واستثمارها لمواردها البشرية على رغم محدوديتها العددية،٦ويضيف: ينبغي الاعتراف بنقاط التميز الإسرائيلية لإدراك نوعية ومستوى التحديات التي تمثلها إسرائيل للواقع العربي للعمل لتداركها وتجاوزها٧ إلى أن يقول: إن تحدي إسرائيل للعالم العربي لم يقتصر البتة على المجال العسكري فقط ولا على التفوق الاقتصادي والتكنولوجي فحسب، بقدر ما هو أيضاً نتاج التمايز في مجالات النظام السياسي وإدارة الموارد البشرية والمشاركة السياسية.٨

٤- ماجد كيالي/ موقع مركز الدراسات الإسلامية

٥- ماجد كيالي/ موقع مركز الدراسات الإسلامية

٦- ماجد كيالي/ موقع مركز الدراسات الإسلامية

٧- ماجد كيالي/ موقع مركز الدراسات الإسلامية

٨- ماجد كيالي/ موقع مركز الدراسات الإسلامية

نتائج خطيرة

على أن أخطر ما في هذا التوجه الثقافي والفكري الذي ساد في بلادنا هي النتائج التي توصل إليها وسعى لترسيخها في وجدان الأمة والمتمثل بترسيخ التفوق العسكري للعدو وباستحالة الانتصار عليه بل إن أصحاب هذا التوجه لم يكتفوا بترسيخ تفوق العدو في هذه المرحلة من مراحل التاريخ بل سعوا إلى مصادرة مستقبل الأمة عبر تأكيدهم باستحالة التفوق على العدو مستقبلاً بل وباستحالة التعادل معه وفي هذا السياق يقول جمال زهران في المقالة التي سبق وأن أشرنا إليها: أن العرب سيدخلون القرن الواحد والعشرين بحوالي ٧٠ مليون أمي غالبيتهم من النساء سيدخلونه بعيداً عن النور في حالة من العمى المزمن الذي يولد الخرافة والبطالة والتعنت والتعصب الأعمى والتكفير وغير ذلك، ويسد كل ثقوب التفاهم في لغة التخاطب مع العالم الذي نحن جزء منه شئنا هذا أم أبينا.١

ويختتم زهران بالقول: وعندما نتغلغل في ادعاء هذه الحقائق فذلك لأن العالم يعلنون أن الإنسان العربي لا يزال مفقوداً حتى إشعار آخر وأننا في سباق الدنيا المجنون نحو الآفاق البعيدة نركب خيولاً خشبية نهتز عليها بعنف دون أن تتحرك من مكانها.٢

هذا على الصعيد العام أما على الصعيد العسكري فيبلغ التيئيس ذروته حيث يصل جمال زهران إلى خلاصة مفادها أنه في ظل تفوق إسرائيل يصعب التفكير في سيناريو بديل يغير كثيراً في طبيعة الواقع الحالي، لكن الأمل يبقى في تصور قد يساهم في تغيير نمط الصراع العربي الإسرائيلي يعتمد على تبدلات جذرية في النظام الدولي والتفكير العربي بانتهاج الخيار النووي والاتجاه إلى التنسيق الفاعل، ما يقود إما إلى تسويات عادلة ودائمة للصراع العربي الإسرائيلي.٣

ويشاركه في هذا الرأي كثيرون من بينهم فيصل الحوراني الذي كتب في

١- ماجد كيالي/ موقع مركز الدراسات الإسلامية

٢- ماجد كيالي/ موقع مركز الدراسات الإسلامية

٣- ماجد كيالي/ موقع مركز الدراسات الإسلامية

بحث منشور على موقع السلطة الفلسطينية: وإذا كان من غير المتوقع أن تتغلب المقاومة الفلسطينية على آلة البطش الإسرائيلية في أي وقت، فإنه من المتوقع أن يؤدي استمرار المقاومة وتشديدها إلى تبديل المناخ السياسي الذي يجيز الآن لإسرائيل استخدام هذه الآلة دون ضوابط.

ويخلص الحوراني في هذا البحث إلى تأكيد استمرار تفوق العدد العسكري بقوله: ولعل من الضروري على الدوام أن نستحضر الحقيقة المتصلة بالقوة العسكرية الإسرائيلية، فهذه ستظل متفوقة على قوة المحيط العربي كله، وفي المصادر الذاتية الإسرائيلية والدعم الخارجي لإسرائيل ما يكفي لتعويض أي نقص كمي أو نسبي في تفوق اسرائيل العسكري، يستوي في هذا أن يضار التفوق الإسرائيلي بسبب جرأة المقاومة الفلسطينية أو نتيجة تطور القوات المسلحة العربية إلى أن يسدّ الأمل أمام أي حل عسكري ويعلق كل الآمال على ما يسمى بالحل السلمي: فإن الأمل بتبديل سلوك إسرائيل لا يجد ما يسوغه إن استند هذا الأمل على حسابات الصراع بالسلاح وحده، أما الأمل الذي لم تسد طريق تحقيقه فهو الأمل الذي يعول على ما يبذله مقاومو الاحتلال في مجال التأكيد على أن التسوية هدف لا بد من تحقيقه حتى يتحقق الاستقرار للجميع، وهذا يعادل التأكيد على أن إسرائيل لن تتمتع بالاستقرار قبل أن تستجيب لتطلبات التسوية، ومن أجل هذا لا يحتاج الأمر إلى قوة عسكرية جسيمة بمقدار ما يحتاج إلى تفعيل الوسائل التي في المتناول وتأليب كل من يعنيهم الأمر ضد سلوك إسرائيل، أي ضد سياسية البطش بما هي سياسة تغيّب فرصة تحقيق الاستقرار، والواقع أن معالم التصور الفلسطيني لهدف الانتفاضة، إن لم ترتسم بكاملها منذ البداية فقد أخذت تتبلور بمضي الوقت وارتسمت في هذا الإطار: حرمان المحتل ومستوطنيه من الاستقرار وحمل القيادة الإسرائيلية على أخذ الشرعية الدولية بعين الاعتبار والقبول باعتمادها مرجعاً لمفاوضات التسوية.

ولا يتردد الحوراني في الزعم بأن المقاومة تسعى لتحقيق هدف واحد فيقول: لا مجال لمغالطة النفس فللمقاومة هدف رئيس هو الهدف المطلوب حتى لو لم يتم الإفصاح عنه صراحة هو تصحيح مسار العملية السياسية، أو تصحيح الخطأ، فلن تجري أي مفاوضات مجدية أو يمكن أن تصير مجدية ما لم يستخدم الفلسطينيون وسائل الضغط المتيسرة لإرغام إسرائيل إرغاماً على التفاوض بجديّة والكفّ عن الختل، كما أنه لا مجال لمغالطة النفس في شأن آخر.

السخرية من المقاومة

وفي ظل هذا المنطق التيئيسي المبني على قناعة باستمرار تفوق العدو العسكري ذهب أبناء هذه المدرسة التيئيسية وهي أهم تجليات ثقافة الهزيمة التي سادت في بلادنا إلى السخرية من المقاومة بكل أشكالها ورموزها ومصطلحاتها واعتبارها عملاً مجنوناً وقد اخترنا في هذا المجال نموذجاً من نماذج ثقافة التيئيس ذهب صاحبه إلى القول: تمادي فارق القوة ذاته على مستوى القوى المنظمة وحروب الدول هو السبب أيضاً وراء تقدم "الحرب غير المتوازية"، بما تتسم به هذه من "لا عقلانية"، تتبدى في "لا ارتداعية" المحاربين غير المتوازيين، ومن نزوع نحو الحرب المطلقة، ورفض التسويات السياسية، ومن استناد إلى منطق الجهاد والاستشهاد، ومن توسل محتمل للإرهاب، أي الامتناع عن التمييز بين العسكريين والمدنيين الذي تقتضيه حروب الدول،[1] ولا يتردد صاحب هذا الرأي في وصف المقاومة بالإرهاب وبأنها فائض الضعف العربي فيقول: أصل "اللاتناسب" الإسرائيلي هو لا تناسب قوة إسرائيل مع محيطها، أو ما تحوزه إسرائيل من فائض مقارنة بالدول العربية. وأصل "الإرهاب" العربي فائض الضعف أو عجز الدول عن القيام بوظيفة سيادية أساسية، وظيفة الدفاع. وثمة أصل واحد لـ "الدولة العليا" الإسرائيلية ولمنظمات ما دون الدولة العربية، ولا نحتاج إلا إلى قواعد التفكير السياسي العادي لفهمهما معاً،[2] بل إنه لا يتورع عن تفضيل المعتدي على المقاوم عندما يقول: هل تشبه "الدولة العليا" منظمة إرهابية؟ لن نقول إلا أنهما تختلفان عن الدولة العادية بطريقتين متقاربتين جداً: لا تميزان بين المدنيين والعسكريين، لا ترتدعان، تؤسسان شرعيتهما على العقيدة، لا تعترفان بأصول للحرب، خارجتان على القانون،[3] وهو يرى بأن المقاومة ليست أكثر من حصيلة اختلال عندما يقول: يمكن النظر إذن إلى انتقال الصراع العربي الإسرائيلي من أيدي الدول إلى أيدي منظمات دون الدولة، وحلول

١- في أصول اللاتناسب الاسرائيلي والإرهاب العربي/ ياسين الحاج صالح-موقع ألوان
٢- في أصول اللاتناسب الاسرائيلي والإرهاب العربي/ ياسين الحاج صالح-موقع ألوان
٣- في أصول اللاتناسب الاسرائيلي والإرهاب العربي/ ياسين الحاج صالح-موقع ألوان

الحرب غير المتوازية محل الحرب النظامية، بأنهما حصيلتان للاختلال غير القابل للإصلاح لموازين لقوى العسكرية بين الدول العربية المشرقية وإسرائيل،٤ وهو يسخر من العمليات الاستشهادية ويساوي بينها وبين جرائم قتل المدنيين فيقول: في مواجهة التفوق المطلق الإسرائيلي، وتعذّر الحرب والسياسة، طور العرب سلاحاً مطلقاً لم يسبق أن عرفوه في تاريخهم: الاستشهادي. ومثل السلاح المطلق الآخر، النووي، لا يميز سلاحنا هذا بين مدني وعسكري لا تناسب اللاتناسب،٥ بل إنه ينزع عن المقاومة وخاصةً الإسلامية صفة حركة التحرر في قوله: فإن تنظيمات ما دون الدولة قائمة على أساس ديني حصراً، مع نزوع أصولي قوي. هل الصفة الأخيرة عارضة؟ بل هي محتومة وجوهرية فيما نرى،٦ بل إنه يذهب إلى ما هو أخطر من ذلك عندما يعتبر المقاومة القائمة على أساس ديني وهو هنا يتحدث عن المقاومة الإسلامية التي يعتبرها خطراً على المجتمع فيقول: على أن المشكلة الخطيرة في مقاومات ما دون الدول أنها دينية في مجتمعات المشرق المتعددة الأديان، والمتعددة الإسلام أيضاً، ما يجعل منها، من حيث المبدأ ومهما أبدت من حرص، ضد المجتمع وليس ضد الدولة العاجزة فحسب.٧

بل يزعم أن حركات المقاومة محل استياء الناس حيث يقول: والخلاصة العملية التي يمكن ترتيبها على ذلك قد تنص على أن استعادة الصراع إلى الدول، وإلى العقلانية، يقتضي تمكن أو تمكين الدول هذه من تدارك عاهاتها السيادية، ومواجهة أعدائها بصورة فعالة. دون ذلك سيكون المشهد العربي مزيجاً من دول خانعة، لا تندرج خياراتها السلمية المعلنة في استراتيجية متكاملة لحل المشكلة الإسرائيلية، وبين منظمات ثائرة تبقى موضع استياء من قطاعات من الرأي العام في البلدان المعنية.٨

٣- في أصول اللاتناسب الاسرائيلي والإرهاب العربي/ ياسين الحاج صالح-موقع ألوان

٤- في أصول اللاتناسب الاسرائيلي والإرهاب العربي/ ياسين الحاج صالح-موقع ألوان

٥- في أصول اللاتناسب الاسرائيلي والإرهاب العربي/ ياسين الحاج صالح-موقع ألوان

٦- في أصول اللاتناسب الاسرائيلي والإرهاب العربي/ ياسين الحاج صالح-موقع ألوان

٧- في أصول اللاتناسب الاسرائيلي والإرهاب العربي/ ياسين الحاج صالح-موقع ألوان

٨- في أصول اللاتناسب الاسرائيلي والإرهاب العربي/ ياسين الحاج صالح-موقع ألوان

سبيل النصر

لقد بنى أصحاب ثقافة الهزيمة المحسوبين على أمتنا نتائجهم وقناعاتهم حول تفوق العدو على مكوّن واحد من مكونات قيام الدول والمجتمعات هو المكون المادي بل إنهم بنوه على جانب واحد من هذا المكوّن هو ما أسموه بالتفوق العلمي وقد فات أصحاب هذه المدرسة أن الأمم والشعوب والدول لا تقوم ولا تستمر بفعل مكوناتها المادية فقط مهما عظُمت هذه المكونات وفي الماضي البعيد وفي الحاضر القريب ما يؤكد هذه الحقيقة فقد انهارت مهزومة امبراطورتي قيصر وكسرى أمام جيوش المسلمين المكونة من الحفاة العراة رعاة الغنم كما كان يصفهم القياصرة والأكاسرة ولم يكن بين هذه الجيوش والامبراطوريات التي واجهتها أي توازن في موازين القوى المادية ومع ذلك انتصر الأضعف مادياً على الأقوى مادياً. وفي العصر الحديث لم ينهار الاتحاد السوفييتي بسبب ضعف قوته العسكرية التي كانت تشكل قوة ردع للغرب كله وفي مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية كما أنه لم ينهار بسبب تخلفه العلمي فقد كان ينافس الولايات المتحدة الأمريكية على غزو الفضاء.

لقد فات هؤلاء أن جيوش قيصر وكسرى انهزمت وأن الاتحاد السوفييتي انهار لأسباب أخرى هي عين الأسباب التي جعلت شرائط الإمام الخميني تنتصر على بطش السفاك وجبروت الشاه فبالعقيدة وبالبناء المعنوي القائم على الحق والساعي للعدل والحرية تقوم الدول وتنتصر الشعوب عندما تؤمن بقضية تجسدها في ثقافة كثقافة المقاومة التي ترى في عدوها مجرد بيت عنكبوت كما فعل سيد المقاومة السيد حسن نصر الله عندما رسخ في أذهان مجاهدي حزب الله القناعة بأن اسرائيل ليست قوة إلا في أذهاننا فقط. وعندها يسقط هذا الوهم ونستخدم القوة الكامنة فينا سنجد أن هذا الكيان الذي اسمه اسرائيل أوهن من بيت العنكبوت وهذا ما أثبتته التجربة سواء في انسحاب العدو أمام ضربات المقاومة من الجنوب عام ٢٠٠٠ أو في انتصارها المدوّي في حرب تموز ٢٠٠٦.

ملامح الانتصار

هذا الانتصار الذي بدأت ملامحه تظهر قبل وقف العمليات العسكرية من خلال تراكم الخسائر المادية العسكرية وغير العسكرية لدى العدو حيث تمكن مجاهدو حزب الله من تدمير العشرات من دبابة ميركافا وهي الدبابة الأحدث في العالم والتي كان العدو الإسرائيلي يفاخر بها ويدلل من خلالها على تفوق صناعته العسكرية قبل أن تباشر صواريخ المجاهدين قنصها وتدميرها تماماً مثلما فعلت ببوارج العدو وزوارقه الحربية. كذلك لم تنجوا طائراته العمودية والنفاثة وتلك التي بدون طيار. بالإضافة إلى معداته الأخرى من جرافات وناقلات جنود وغيرها. وهو ما ينطبق أيضاً على خسائر العدو المادية الأخرى متمثلة بقصف آلاف المنازل وعشرات المصانع والمتاجر.

وهو الذي عنى فيما عناه للكيان الصهيوني خسائر اقتصادية ضخمة حتى زادت كلفة الحرب بالنسبة له عن ستة مليارات دولار أمريكي. وتم شل اقتصاده على الصعد السياحية والزراعية والصناعية بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ هذا الكيان وخبراء الاقتصاد يعرفون ماذا يعني اقتصادياً إغلاق ميناء حيفا وترحيل صناعات كثيرة من مواقعها .١وقد عكس وزير مالية الكيان الصهيوني في الأسبوع الثاني للعدوان حجم الخسائر الاقتصادية الاسرائيلية عندما قال: إنه من المبكر الحديث عن تعويضات مالية لأن الحرب لا تزال بأولها وأضاف أنه إذا استمرت الحرب مدة أطول فإن الاقتصاد الإسرائيلي سيتكبد خسائر فادحة تؤثر على مكانته في الأسواق المالية العالمية.٢ لقد زاد من خسائر العدو الاقتصادية عملية النزوح الضخمة التي شهدها الكيان الصهيوني لأول مرة في تاريخه

١- ذكرت مصادر صحفية أن خسائر العدو الإسرائيلي الاقتصادية جراء صمود حزب الله زادت عن ستة مليارات دولار أمريكي منها:

- مليون دولار خسائر السوق الصناعية اليومية.
- إفلاس القطاع التجاري وزيادة البطالة.
- ٥٠ مليون دينار خسائر القطاع الزراعي.
- من ٩٠ مليون إلى ١١٠ ملايين دولار يومياً إجمالي الخسائر الاقتصادية.
- ١١.٥ مليار شيكل ٢.٥ مليار دولار إجمالي الخسائر الاقتصادية. وهي نسبة تشكل ٢ من إجمالي الناتج القومي لإسرائيل.
- تراجع الناتج المحلي بنسبة ١ والنمو الاقتصادي بنسبة ٢.

٢- الدستور الأردنية ٢٠/٧/٢٠٠٦.

هرباً من صواريخ المقاومة التي اضطرت الغالبية العظمى من المستوطنين في كيان العدو إلى الاختباء في الملاجئ وسط أجواء من الخوف والرعب. وقد توّج هذا النزوح بقيام حكومة العدو بإجلاء سكان مستعمرة كريات شيمونة رسمياً عنها. وهذا تحول خطير في تاريخ الصراع بين أمتنا وعدوها فقد اعتدنا في المواجهات السابقة على نزوح العرب وبقاء الإسرائيليين مستمتعين في منازلهم ومتاجرهم وحاناتهم. بل وعلى شواطئهم. ويزيد من أهمية هذا التحول أنه ترافق مع ضرب العمق الإسرائيلي بكثافة ولأول مرة في تاريخ الصراع بين أمتنا وعدوها.

بالإضافة إلى الخسائر المادية فإن الخسائر البشرية شكلت هي الأخرى ملمحاً آخر من ملامح انتصار حزب الله على العدو فعلى الصعيد العسكري وصل عدد قتلى ضباط وجنود العدو إلى العشرات مما جعل اسرائيل كلها في حالة صدمة وبكاء. ولعل في وصف مراسل إذاعة جيش العدو لمشهد من مشاهد الصدمة الإسرائيلية ما يكفي للتدليل على حجم الخسارة الإسرائيلية فقد قال هذا المراسل: إن السكان الذين ظلوا في كفار جلعاد قرب الحدود اللبنانية وقفوا حول الجثث مصدومين وبكوا فيما كانوا ينظرون إليها.[٣]

وهو ما ينطبق على قتلاه من المستوطنين أما الجرحى فقد دخلوا في خانة المئات سواء من الضباط والجنود أو من المستوطنين وقد لخص مصدر طبي إسرائيلي حجم خسائر اسرائيل البشرية عندما وصف هذه الخسائر في بنت جبيل بأنها فادحة وهو ما قد تكرر في مواقع أخرى غير بنت جبيل.

الاعتراف بقدرات المجاهدين

ومن المؤشرات التي دلت على انتصار حزب الله على العدو الذي شن عدوان تموز اعتراف العدو المبكر بقدرة مجاهدي حزب الله فقد كتب المحلل السياسي الإسرائيلي ألون بن دفيد يقول: نتحدث عن مئات المسلحين وجميعهم على درجة عالية من التدريب. تحركهم دوافع قوية ويقاتلون بشكل مستقل عن القيادة العليا لحزب الله. وهم يتحركون في شبكة من الخنادق والانفاق على غرار ما كان يفعله الشيوعيون في فيتنام مما يتيح

٣- الرأي الأردنية ٢٠٠٦/٨/٨

لهم الخروج لشن هجوم سريع بصواريخ الكاتيوشا أو البنادق ثم الاختباء مرة أخرى

وهذا الاعتراف من محلل سياسي اسرائيلي بقدرة وكفاءة مجاهدي حزب الله جاء انعكاساً لاعتراف ضباط وجنود جيش العدو الذين تجرعوا مرارة الهزيمة على يدي مقاتلي حزب الله الذين تصدوا لنخبة الجيش الإسرائيلي ممثلة بوحدة رأس الحربة في لواء جولاني. وهو لواء النخبة في جيش العدو الذي نسجت حوله الأساطير. حتى إلتقى بمقاتلي حزب الله فجدعوا أنفه وقصموا ظهره. خاصة عندما أبادوا وحدة رأس الحربة في هذا اللواء. فقد قال ضابط في هذه الوحدة: إن الوحدة التي نفذت عملية ناجحة قبل أسبوعين في غزة دون أن تسجل في صفوفها أي إصابة قد تلقت ضربة قصمت ظهرها أثناء المعركة التي شهدتها تخوم بنت جبيل اللبنانية .١ مثلما قال أحد ضباط هذه الوحدة: بأن وحدته أبيدت تقريباً وخرجت من ساحة الفعل العسكري معترفاً بأن جنوده يعانون من صدمة شديدة جراء الضربة التي نزلت بهم.٢

وإذا كان ضباط وجنود لواء جولاني أو لواء النخبة كما يحلو للإسرائيليين تسميته قد اعترفوا بهزيمتهم أمام القدرات القتالية لمجاهدي حزب الله فإن وضع سائر وحدات جيش العدو لم تكن أفضل. وقد عكست الاعترافات المنشورة لضباط وجنود الجيش الإسرائيلي رغم التضييق الإعلامي مدى خوف جنود العدو من مواجهة مجاهدي حزب الله. فقد نشرت مجلة تايمز اعترافاً لأحد جنود اسرائيل قال فيه: كان القتال معهم جحيماً أنهم مدربون جيداً ليسوا ضعفاء كما كنا نظن أنهم يعرفون كيف يقاتلون. وقال جندي آخر: عندما تكون هناك تكون خائفاً طوال الوقت لم ننم طوال أسبوع. ووصف جندي ثالث الوضع بقوله: إنه وضع خاسر فهم مجموعة من الإرهابيين ونحن جيش نظامي لا يمكننا هزيمتهم.٣

١- العرب اليوم الأردنية ٢٠٠٦/٧/٢٩

٢- العرب اليوم الأردنية ٢٠٠٦/٧/٢٩

٣- العرب اليوم الأردنية ٢٠٠٦/٦/٨

وقال جندي من كتيبة رافيت: القتال كان مخيفاً، هذه حرب حقيقية مقاتلوا حزب الله قاتلو جيداً، سنعود وأنا خائف مثل أي أحد آخر لكنني مدرك أن لدينا عملاً نؤديه.٤ وهذه الاعترافات لضباط وجنود العدو تجعلنا لا نستغرب فشل كل عمليات الانزال التي قام بها العدو حتى في المناطق المدنية. كما تجعلنا لا نستغرب عدم قدرة إسرائيل على البقاء في أي بقعة أعلنت احتلالها سواء في بنت جبيل أو مارون الراس أو غيرها.

انهيار الروح المعنوية للعدو

رافق هذه الاعترافات ملمح آخر من ملامح انتصار المقاومة الإسلامية تمثل بانهيار الروح المعنوية للإسرائيليين على صعيد الجيش الذي أصيب الكثير من أفراده بحالات هستيريا وانهيار عصبي. وامتنع الكثيرون منهم عن الالتحاق بالحرب على لبنان خوفاً من مواجهة مجاهدي حزب الله. وهو الأمر الذي ينطبق على المستوطنين من حيث انهيار الروح المعنوية والإصابة بحالات الهستيريا والانهيارات العصبية مما ساهم في بدء تصدع الجبهة الإسرائيلية الداخلية. وخروج مظاهرات تطالب بوقف الحرب في قلب تل أبيب. ثم في تراجع شعبية رئيس وزراء إسرائيل ووزير حربه. وتعالي الأصوات بضرورة المحاسبة وتنبؤ المحللين بزلزال سياسي سيضرب إسرائيل نتيجة لهزيمتها في الحرب. وهو ما تحقق خلال العام المنصرم سواء من خلال الاستقالات التي شهدها جيش العدو وفي مقدمتها استقالة رئيس أركانه دان حلوتس بالإطاحة بوزير الحرب عمير مرتيس أو من خلال تقرير لجنة فينوجراد.

تفوق استخباري وإعلامي

ومن ملامح الانتصار الذي حققته المقاومة الإسلامية على العدو خلال عدوان تموز وآب التفوق الاستخباري لحزب الله على العدو وهذه قضية

٤- جريدة الرأي الأردنية ٢٠٠٦/٨/٣

مهمة فقد تم تصوير الأجهزة الاستخبارية الإسرائيلية على أنها قادرة على كل شيء. وأنها تعرف كل شيء. وإذا مواجهاتها مع حزب الله تثبت فشلاً استخبارياً ذريعاً لهذه الأجهزة اعترف به العدو نفسه. وقد تجلى هذا الفشل الاستخباري الاسرائيلي بالمفاجأة التي أصيب بها العدو من حيث امكانيات حزب الله القتالية والتسليحية. خاصةً على صعيد شبكة الصواريخ ومنصاتها. وعلى صعيد شبكة الانفاق. مثلما فشل العدو في تحديد أي موقع من مواقع أي قائد من قادة حزب الله. ولم يقف الأمر عند فشل العدو في اختراق حزب الله. بل لقد انقلب الأمر فإذا حزب الله هو الذي يخترق العدو استخبارياً. بدءاً من اختراق شبكة اتصالاته وصولاً إلى الوصول إلى المكالمات الهاتفية بين جنود وضباط العدو. إضافةً إلى كم هائل من المعلومات الاستخبارية التي اعترف العدو بحصول حزب الله عليها وهذا بدوره يشكل تحولاً هاماً في سجل الصراع بين أمتنا وعدوها ويؤسس لانتصارها النهائي عليه. ومثل التحول على الصعيد الاستخباري كذلك الأمر على الصعيد الإعلامي فقد أثبت إعلام حزب الله تفوقه ومصداقيته التي عززتها مصداقية السيد حسن نصر الله الأمين العام للحزب. وهي المصداقية التي اعترف بها العدو بوضوح. ويكفي أن العدو عجز رغم كل محاولاته عن إيقاف قناة المنار.

تراجع عن تحقيق الأهداف

على أن من أهم ملامح انتصار حزب الله على العدو تراجع هذا العدو وحلفائه وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية عن مطالبهم وشروطهم التي أعلنوها عند بدء العدوان. وأهمها اجتثاث حزب الله بعد نزع سلاحه. وهو الأمر الذي اعترف قادة العدو السياسيون والعسكريون باستحالة تنفيذه. فقد قال أحد وزراء إسرائيل في اليوم الأول من آب: أنه ليس هناك أي امكانية لتدمير صواريخ حزب الله كلها.[1] من جانبه استبعد العقيد احتياط في الجيش الصهيوني موشيه اليعاد في تصريحات صحفية أن تحقق الحملة العسكرية الإسرائيلية في لبنان هدفها بشكل كامل وقال إن الجيش الإسرائيلي لن يتمكن من تدمير ترسانة حزب الله.[2] واستمر التراجع الإسرائيلي الأمريكي عن أهداف الحملة العدوانية على لبنان

١- جريدة الدستور الأردنية ٢٠٠٦/٧/٢٠

٢- جريدة الدستور الأردنية ٢٠٠٦/٧/٢٠

حتى تقلصت إلى ما وصفه المحللون السياسيون بمحاولة إنقاذ رئيس الوزراء الإسرائيلي يهود أولمرت.

الاعتراف بالهزيمة

وإذا كانت الملامح السابقة قد تحتمل الجدل عند البعض فإن الذي لا يحتمل الجدل هو ما يسميه أهل القانون بسيد الأدلة أعني الاعتراف فقد توالت اعترافات قادة العدو السياسيون والعسكريون والإعلاميون بالهزيمة حتى قبل أن تضع الحرب أوزارها فقد قالت وزيرة خارجية اسرائيل: ليس هناك أي جيش في العالم بقدرته نزع سلاح حزب الله بالوسائل العسكرية فقط

❖ أما رئيس أركان الجيش الإسرائيلي دان حالوتس الذي قدم استقالته على خلفية هزيمة جيشه فقد قال: لوقمنا بهجوم بري على لبنان في الأيام الأولى. كنا سنجد أنفسنا مطرودين وخائبين لأنه كان علينا أن نبني أيضاً الحملة البرية.

❖ أما زئيف شيف المحلل العسكري الإسرائيلي فقد كتب يقول على الدولة أحياناً أن تتلقى صفعة حتى تستيقظ للواقع الذي تغيرمن حولها.

❖ وكتب أرى شفيط في صحيفة هآرتس: من أجل منع هزيمة اسرائيلية محدودة يجب أن نعرف الوضع تعريفاً دقيقاً، في البدء يجب أن نحدد المشكلة الشديدة الإلحاح: فشلت إسرائيل في المراحل الثلاث الأولى من حرب ٢٠٠٦، فشل الهجوم الجوي وفشل الهجوم البري المحدود، وفشلت أيام الإحجام والارتباك بعد بنت جبيل، ونتاج ذلك أصبحت إسرائيل ترى عاجزة أزاء منظمة ضمن دولة تضربها مرة تلو أخرى .. إلى أن يقول: إذا لم تكن إسرائيل قادرة على الدفاع عن سيادتها وعن مواطنيها في وجه حزب الله لمدة أسابيع طويلة. فإن الانطباع الذي ينشأ هو أنها أصبحت دولة لا يمكن الدفاع عنها.

❖ أما بوسي بن هاليفي من مركز شاليم للأبحاث فكتب يقول: إن أولمرت بدأ هذه الحرب بتأييد شعبي مطلق تقريباً.. وينهي هذه الحرب وخلفه أمة منهكة وجريحة تشعر أنها بلا قيادة ورغم التأييد الذي أبداه حلفاء أولمرت فإن الإسرائيليين أبعد ما يكونون عن الاقتناع بأن الحرب انتهت

بالنصر.

❖ أما الجنرال موفاز رئيس الأركان السابق للجيش فقد دعا الحكومة الاسرائيلية للاعتراف بالهزيمة التي لحقت بها.

وهذا الفيض من اعترافات قادة العدو هو الذي أدى إلى تشكيل لجنة فينوجراد للتحقيق في أسباب الهزيمة. وهل بعد النتائج التي توصلت إليها هذه اللجنة من جدل حول الانتصار الذي حققته المقاومة الإسلامية ممثلة بحزب الله على العدو الإسرائيلي وهو الانتصار الذي عنى فيما عناه انتصار العقيدة العسكرية لحزب الله وهي العقيدة التي عززت حقيقة عدم إمكانية كسب الحروب من الجو. مهما كان حجم الدمار الذي تلحقه الطائرات. وهذه النتيجة مهمة جدا في المواجهات المستقبلية بين أمتنا وعدوها فقد كان هذا العدو يراهن دائماً على سلاحه الجوي الذي لم ينفعه شيئاً في مواجهته مع حزب الله إلا أنه زاد من صورة العدو وضوحاً من حيث حجم الإجرام والهمجية التي يتصف بها والتي تجسدت في التدمير الممنهج للمنشآت المدنية في لبنان بعد أن عجز عن مواجهة مقاومته في ميدان المعركة.

ضرب المشروع الأمريكي

لا تقتصر أهمية الانتصار الذي حققته المقاومة الإسلامية في حرب تموز ٢٠٠٦ على أنها منعت العدو من تحقيق أهدافه المعلنة وغير المعلنة في لبنان وإجباره على الاعتراف بهزيمته بل إن قيمتها المضافة أنها شكلت ضربة قوية وموجعة للمشروع الأمريكي في المنطقة بعد أن راهن أصحاب هذا المشروع على ولادة الشرق الأوسط الجديد وفق المقاييس الأمريكية من رحم العدوان على لبنان وعلى أنقاض مقاومته.

ويزيد من قوة هذه الضربة للمشروع الأمريكي أنها جاءت بالتزامن مع أمرين الأول تعثره المستمر في العراق والثاني اطمئنانه إلى نجاحاته على صعيد قضية فلسطين وتنامي خط الاستسلام على صعيد المواجهة مع العدو الصهيوني حتى لقد كان لافتاً للمراقبين أن الرئيس الأمريكي بوش الإبن لم يتطرق في خطابه عن حالة الأمة الذي ألقاه في كانون الثاني عام ٢٠٠٤ لما يسمى بمسيرة السلام بين العرب وإسرائيل ولو بكلمة واحدة. وبعدم

حديثه عن الصراع العربي الإسرائيلي وتجاهله لما يسمى بمسيرة السلام كان أبلغ من كل كلام. فكل المؤشرات على الأرض كانت تشير إلى أن الصراع العربي الإسرائيلي لم يعد مشكلة رئيسية بالنسبة للإدارة الأمريكية ورئيسها. فقد حسم الرجل موقفه وموقف بلاده. وتخلى عن دور الوسيط النزيه الذي حاول بعض العرب إلزامه به متجاهلين موقفه الحقيقي والمعلن شريكاً كاملاً لإسرائيل. وحامياً لأمنها ومخططاتها. ومبشراً بنبوءاتها التي تحكم اليمين الأميركي المتطرف والمتصرف بالقرار السياسي الأمريكي. والمؤمن بصراع الحضارات والمبشر بمعركة هيرمجدون. فبوش الابن يسير على خطى أبيه وأمه بربارة ومن قبلهما الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان. فجميع هؤلاء من أتباع المسيحية الصهيونية التي تؤمن بإسرائيل الكبرى. وبأن المعركة النهائية ستقع على أرض فلسطين. وقد كانوا يتمنون بأن يكونوا من جنودها المخلصين. وهذه ليست مجرد أوهام. ولا تكهنات ولكنها إعترافات وأمنيات أعلنوها أكثر من مرة. وبأكثر من صورة من صور الصراحة التي لا تحتمل اللبس .

لقد استطاعت السياسة الأمريكية بتوجهها الصهيوني من خلال استثمارها لرمي النظام الرسمي العربي لكل أوراقه على طاولتها أن تجرد الصراع في فلسطين من كل ابعاده. وكان أول ذلك تجريد الصراع من بعده الإسلامي. ثم من بعده القومي بحجة القرار الوطني المستقل. ثم من بعده الوطني بحجة إصلاح السلطة الوطنية الفلسطينية. وبهذه الحجة حولت الصراع إلى صراع فلسطيني فلسطيني حول صلاحيات رئيس السلطة ورئيس الوزراء وحول الجهة التي تتبع لها الأجهزة الأمنية، كما نجحت هذه السياسة في خلق حالة من الإحتراب العربي العربي. فحاصرنا السودان بقرار أمريكي. وحاصرنا ليبيا بقرار أمريكي. وحاصرنا العراق بقرار أمريكي. وأعلنا الحرب على كل خلية مقاومة في جسد الأمة بدعوى محاربة الإرهاب الذي لا نعرف له حتى الآن تعريفاً نحتكم إليه.

منع تدمير المقاومة

وسط ذلك كله جاء انتصار المقاومة الإسلامية على العدوان الذي شُن على لبنان في تموز ٢٠٠٦ ليشكل ضربة للنجاحات الأمريكية على صعيد

قضية فلسطين وهي النجاحات التي أراد أن يبني بها وعليها مشروعه للشرق الأوسط الجديد ففي هذا الإطار جاء العدوان على لبنان بهدف تدمير واحدة من أهم مراكز مقاومة الأمة لأن المشروع الأمريكي يريدها أمة مستسلمة لا مقاومة لديها. وهو الهدف الذي منع الانتصار اللذي حققته المقاومة تحقيقه عبر عدوان تموز ٢٠٠٦ الذي يصلح لدراسته كنموذج لمعرفة حقيقة مواقف الولايات المتحدة الأمريكية من مجريات الصراع في المنطقة وحقيقة مشروعها لهذه المنطقة دون مساحيق تخفي هذه الحقيقية أو تخفف من حدتها كما أنه يصلح نموذجاً لمعرفة آليات مواجهة المخططات الأمريكية للمنطقة فوسط الركون الأمريكي للنجاحات التي حققتها السياسة الأمريكية في تركيع النظام الرسمي العربي وإبقائه في حالة لهاث مستمر خلف سراب السلام الموعود كان يجري الأعداء لمرحلة جديدة من مراحل الحرب الأمريكية على الأمة بهدف القضاء على مواقع المقاومة فيها وفي الطليعة منها المقاومة الإسلامية في لبنان. فجاء عدوان تموز وهو عدوان أمريكي على المقاومة الإسلامية في لبنان بدأه بالنيابة عنها حليفها الاستراتيجي أعني الكيان الصهيوني، وهو ما أشارت إليه أوساط كثيرة في الغرب، من بينها صحيفة الإندبندنت البريطانية التي كتبت تقول: هناك مؤشرات مقلقة بأن واشنطن تنظر إلى إسرائيل باعتبارها تحارب نيابة عن الولايات المتحدة ضد أعدائها الإقليميين في الشرق الأوسط سوريا وإيران. كما لم يخف الاتجاه اليميني من المحافظين الجدد الذين يحكمون الولايات المتحدة الأمريكية رأيهم بأن الحرب على لبنان ليست أكثر من حرب أمريكية بالوكالة طرفاها على الأرض إسرائيل وحزب الله.

ولكن عندما أدركت الولايات المتحدة الأمريكية أن وكيلها في الحرب أعني الكيان الصهيوني غير قادر على تحقيق أهدافها دخلت هي الحرب بصورة مكشوفة ومباشرة وكانت بداية هذا الدخول أعلن الكونغرس الأمريكي تأييده الكامل لإسرائيل ثم أخذت المشاركة الأمريكية في العدوان على لبنان أشكالاً مختلفة منها:

❖تفسير العدوان بأنه حق اسرائيل في الدفاع عن النفس أمام الهجمات الإرهابية التي يشنها عليها حزب الله وتأمين الغطاء السياسي الدولي لهذا العدوان.

❖ تزويد إسرائيل بالصواريخ العنقودية الإنشطارية، وتسريع عملية إرسال المزيد من القنابل الموجهة بالليزر.

❖ التسريع بإرسال صورايخ إم ٢٦. التي تطلق ضمن صليات. ويحمل كل صاروخ منها مئات القنابل الصغيرة التي تنتشر ثم تنفجر في مساحة واسعة.

❖ تزويد إسرائيل بأكثر الطائرات القتالية تطوراً في العالم من نوع إف ٢٢ المتملصة والتي لا يمكن إكتشافها بواسطة أجهزة الرادار، والمزودة بصورايخ جو- جو وقنابل ذكية. وقد تم تزويد إسرائيل بهذه الطائرة بعد تسع سنوات من حظر بيعها وفق قرار من مجلس النواب الأمريكي، ويبلغ ثمن هذه الطائرة ١٥٠ مليون دولار، وحسب مصادر أمريكية وكما جاء في نيويورك تايمز فإن قرار تزويد إسرائيل بالأسلحة تم بسرعة وبعد مناقشات بسيطة وسريعة داخل الحكومة الأمريكية.

❖ لم تتوقف المشاركة الأمريكية المباشرة في العدوان على لبنان عند حدود تزويد إسرائيل بالأسلحة المتطورة، بل ذهبت واشنطن إلى حدود المساهمة في توجيه العمليات العسكرية وتوقيتها وتحديد أهدافها، فبحسب المصادر الصحفية فإن مسؤولين أمريكيين ذكروا أن واشنطن وتل أبيب اتفقتا على مواصلة القصف على أهداف لحزب الله لمدة اسبوع آخر لتقويض القدرات العسكرية للحزب.

❖ كما سعت الولايات المتحدة الأمريكية لكسب الوقت لصالح إسرائيل حتى تتمكن من تحقيق أهدافها. لذلك تصدت بقوة لضغوطات غالبية الدول التي شاركت في مؤتمر روما لمنع المؤتمر من إصدار قرار بوقف إطلاق النار فلم تخف وزيرة الخارجية الأمريكية معارضة بلادها للدعوة إلى وقف فوري لإطلاق النار حيث قالت: نريد وقف العنف بشكل ملح _ بشرط أن يتم ذلك_ على أساس أن يكون دائماً هذه المرة، لأن هذه المنطقة شهدت الكثير من إعلانات وقف إطلاق النار التي خرقت. وأوضحت رايس أنه يتعين السعي إلى هدنة متى تكون الظروف ملائمة لذلك وقالت يجب أن يكون لدينا خطة تهيئ فعلياً ظروفاً تمكن من وقف لإطلاق النار يكون قابلاً للاستمرار. لقد أجمعت جميع المصادر وجميع الأطراف على إصرار واشنطن على كسب الوقت لحساب إسرائيل. وقد لخصت صحيفة الغارديان البريطانية ذلك عندما كتبت تقول: إن إدارة بوش وبدعم من بريطانيا

أعاقت الجهود داخل مجلس الأمن وخلال قمة الثماني للدول الصناعية الكبرى في سانت بطرسبورغ واجتماع وزراء خارجية الدول الأوروبية في بروكسل للمطالبة بوقف مباشر للإقتتال. ونسبت الغارديان إلى مسؤول أوروبي بارز قوله: من الواضح أن الأمريكيين أعطوا الضوء الأخضر للإسرائيليين لمواصلة هجماتهم فترة أطول. وقد شعر الأمريكيون بعدم رضى الأطراف الأخرى عن سياساتهم بكسب الوقت. وهو ما عبر عنه مسؤول أمريكي بارز بحسب جريدة الرأي الأردنية الصادرة يوم ٢٠٠٦٧٢٠ عندما قال: بأن الأطراف ليست راضية جميعاً عن الموقف الأمريكي موضحاً: نحن حذرون للغاية حول كيفية التحدث عن المسألة. وأضاف أن الولايات المتحدة تقول لإسرائيل: إن هناك حداً للوقت الذي سيسمح لها فيه بمواصلة ما تقوم به حالياً.

❖ رفض الإدارة الأمريكية المتكرر لوقف إطلاق النار إلا من خلال شروط صعبة لم يكن حزب الله ليقبل بها فقد امتنع الرئيس الأمريكي جورج بوش في لقاء مع رجال أعمال في ميامي عن المطالبة بوقف فوري لإطلاق النار في لبنان وقال إنه يعمل على خطة في مجلس الأمن لمعالجة المشكلة من جذورها وقد حاولت رايس فرض هذه الشروط الصعبة لوقف النار في لبنان عندما قالت: لن يكون هناك وقف لإطلاق النار قبل إطلاق سراح الجنديين دون شرط وإنسحاب قوات حزب الله مسافة ٢٠ كيلومتراً من الحدود، وقد كررت ذلك عندما قالت: إن العنف في الشرق الأوسط سيتواصل لفترة من الوقت حتى بعد تبني قرار من مجلس الأمن حول وقف لإطلاق النار. وهو ما عادت وأكدت عليه في مؤتمر صحافي قالت فيه: نحن نحاول أن نعالج مشكلة تتفاقم في لبنان منذ سنوات وسنوات لذلك فإنها لن تحل بقرار واحد من مجلس الأمن. ثم عادت وقالت: إن الولايات المتحدة تعتقد أنه ينبغي أن يكون هناك وقف لإطلاق النار بين إسرائيل وحزب الله في لبنان بأسرع ما يمكن ولكن حينما تكون الظروف مواتية. أما جون بولتون مندوب الولايات المتحدة الأمريكية في الأمم المتحدة حينها فقد قال في هذا السياق: من الصعب للغاية أن يفهم ممن يطالبون بوقف إطلاق النار كيف يمكن وقف إطلاق النار مع منظمة إرهابية مثل حزب الله. وأضاف: لست واثقاً من أن المفهوم التقليدي لوقف إطلاق النار يكون له أي معنى عندما تتعامل مع جماعة إرهابية تطلق الصواريخ على سكان مدنيين

وتختطف إسرائيليين أبرياء. وهو نفس الموقف الذي أكده توني سنو المتحدث باسم البيت الأبيض عندما قال: وقف لإطلاق النار يترك بنية أساية إرهابية سليمة ليس مقبولاً. وأضاف: عندما يحدث وقف لإطلاق النار..سيفسر حزب الله ذلك على أنه نجاح لأساليبه. وقد انعكس هذا الموقف الرسمي الأمريكي في تصريحات الكثيرين من العاملين في المؤسسات الأمريكية الاخرى. فمن جانبه قال جيفري وايت من معهد واشنطن للشرق الأدنى إن الولايات المتحدة لا تضغط من أجل وقف سريع لإطلاق النار لأن ذلك سيحد من قدرة إسرائيل على إلحاق أضرار أكبر بإمكانات حزب الله. أما ماري روز عوكر رئيسة اللجنة العربية الأمريكية لمناهضة التمييز فقالت: لم يدع الرئيس بوش ووزيرة الخارجية رايس أو وزير الدفاع رامسفلد في أي وقت لوقف إطلاق النار في لبنان. بل على العكس شجعت إدارة بوش أعمال العنف بإرسالها شحنة عاجلة من القنابل إلى إسرائيل حيث أعطت هذا البلد الضوء الأخضر لمواصلة قصفه العشوائي على لبنان.

❖ تبني مطالب اسرائيل وفي سياق المشاركة الأمريكية في عدوان تموز على لبنان كان من الطبيعي تبني واشنطن لمطالب إسرائيل، وتسعى لجعلها مطالب المجتمع الدولي، وأول هذه المطالب نزع سلاح حزب الله الذي حملته واشنطن مسؤولية إندلاع الصراع. عندما قال المتحدث بإسم البيت الأبيض توني سنو: إن حزب الله هو الذي بدأ الصراع وينبغي لسوريا وإيران أن تستخدما نفوذهما لوقفه مشيراً إلى هجمات حزب الله على إسرائيل إنطلاقاً من لبنان، ليطالب المندوب الأمريكي في مجلس الأمن جون بولتون بنزع سلاح الحزب عندما قال: إنه يتعين على المجلس التركيز على نزع سلاح ميليشيات حزب الله. وهو الموقف الذي سبقه إليه الرئيس بوش ووزيرة خارجيته كونداليزا رايس.

❖ ومما يؤشر أيضاً على أن العدوان على لبنان هو عدوان أمريكي نفذته اسرائيل أن واشنطن سعت إلى استغلال هذا العدوان لتصفية حساباتها مع بعض خصومها في المنطقة، وخاصة سوريا وإيران اللتين اتهمتهما واشنطن بأنهما وراء حزب الله، فقد قال مساعد وزيرة الخارجية للشؤون السياسية نيكولاس بيرنز: إن إيران أوجدت حزب الله في ١٩٨٢ ومولته وزودته بالصواريخ بعيدة المدى التي تسقط حالياً على شمال إسرائيل. علينا أن

ننظر إلى هذا النزاع ليس على أنه نزاع بين حزب الله واسرائيل وعلى أنه نزاع حدودي، إنه نزاع أوسع لأن إيران تعمل بشكل مخالف لتطلعاتنا جميعا إلى الاستقرار والسلام في الشرق الأوسط، وإن إيران وسوريا دفعتا حزب الله إلى شن هذا الهجوم على إسرائيل.

❖ ومن هذا الفهم طالبت واشنطن إيران بوقف دعمها لحزب الله عندما قال الرئيس الأمريكي: إيران لا بد أن تضع حداً لدعمها المالي للجماعات الإرهابية مثل حزب الله وتزويدها لتلك الجماعات بالسلاح. وفي مناسبة أخرى قال بوش: سوريا وإيران ترعيان أنشطة حزب الله وحماس وتدفعان بهما قدماً بغية إثارة الفوضى بغية استخدام الإرهاب لوقف تقدم الديمقراطية.

ولم تتوقف الولايات المتحدة الأمريكية عند حدود مطالبة سوريا وإيران بوقف دعم حزب الله بل ذهبت إلى ما هو أبعد من ذلك عبر الدعوة لمعاقبتهما فقد نقلت صحيفة الحياة الصادرة في لندن يوم ٢٠٠٦٨٨ عن مسؤول أمريكي قريب من مجلس الأمن القومي الأمريكي قوله: إن بوش يعتبر إيران وسوريا مسؤولتين عن إحباط المشروع الديمقراطي في العراق فيما يسعيان اليوم لاحباط الحكومة اللبناني المنتخبة ويساهمان في تصعيد الأوضاع في العراق وفلسطين من خلال دعمهما للإرهاب وأضاف: إن الرئيس الأمريكي يرى ضرورة معاقبة النظامين الحاكمين في دمشق وطهران لكنه يصطدم بعوائق دبلوماسية ولوجستية فيما دخل الوضع في العراق مرحلة محرجة.

وهذا الموقف الرسمي الأمريكي انعكس في العديد من التحليلات الأمريكية فقد دعت صحيفة واشنطن بوست إلى معاقبة سوريا وإيران عندما كتبت: إنه حتى وإن عوقب حزب الله في بلده سياسياً. فإن المشكلة التي تكمن وراء هذه الأحداث ستظل. ألا وهي إيران وسوريا اللتان ترعيان حزب الله. وطالبت الصحيفة مجلس الأمن بمحاسبة إيران ليس فقط على تخصيبها لليورانيوم ولكن أيضاً على دعمها لحزب الله وتجديد الضغوط الدولية على دمشق التي تؤوي حماس وحزب الله. بما فيها فرض عقوبات عليها.

أما جاريت أيفانز المختص بشؤون الشرق الأوسط: فقد قال: إذا رفض حسن نصر الله وضع قوات دولية في جنوب لبنان ستضطر اسرائيل إلى

قصف مواقع عسكرية في سورية. وهو نفس ما دعى إليه المحلل الأمريكي الترمان: عندما قال: أن واشنطن ستقبل ضمنياً شن غارة جوية إسرائيلية على سوريا لتبعث برسالة بتحميلها مسؤولية ما حدث. ويخاطر مثل هذا الهجوم باختبار تعهد إيران بالدفاع عن سوريا.

وقد مارست الولايات المتحدة الأمريكية تهديدها فعلياً. عندما اعلنت أنها فرضت عقوبات على سبع شركات أجنبية من بينها شركة تصنيع الطائرات الحربية الروسية سوخوي بسبب تزويدها إيران بمعدات يمكن استخدامها في تطوير أسلحة دمار شامل وشركة انتاج الأسلحة الروسية روسبور وتكسبورت وشركتين هنديتين وشركة كوبية وشركتين كوريتين شماليتين.

إن هذا الانحياز الأمريكي المكشوف لإسرائيل ومشاركتها في العدوان على لبنان لم يثر سخط جماهير العرب والمسلمين فقط، بل كان محل انتقاد جهات أمريكية عديدة وهو ما عبر عنه بوضوح دينيس روس مبعوث الرئيس الأمريكي السابق بل كلنتون لـ الشرق الأوسط عندما قال: ساهم عدم التدخل في تدهور الأمور بوضع الولايات المتحدة في موقف لا تملك فيه نفس الثقل الذي كانت تحظى به.

أما دانيال بنجامين المحلل المختص بشؤون الشرق الأوسط في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية فقد قال: ستكون هناك فكرة قوية بأن الولايات المتحدة لم تظهر اهتماماً كافياً بالضحايا المسلمين وأضاف لا شك أننا لا نكسب أي أصدقاء جدد في المنطقة باستثناء اسرائيل.

أما نائب رئيس المركز الأمريكي لدراسات الأمن القومي والسياسة الدولية فقد حمل الولايات المتحدة مسؤولية احتدام الوضع في الشرق الأوسط مؤكداً أن الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان أدت إلى إثارة غضب المسلمين في العالم بأسره وخلقت جيلاً جديداً من الشباب العرب الناقمين على الولايات المتحدة وإسرائيل. وأشار إلى أن إدارة البيت الأبيض الحالية أظهرت ضعفها منذ البداية وأن الرئيس جورج بوش لا يسيطر على سير الأحداث في المنطقة.

تحذير من الخسارة

لقد حذر عدد من النواب الأمريكيين من الحزبين الرئيسيين الجمهوري والديمقراطي الولايات المتحدة وإسرائيل من مغبة خسارتهما للرأي العام العالمي كثمن للدمار الذي يلحقه العدوان الإسرائيلي المدعوم من الولايات المتحدة على الشعبين اللبناني والفلسطيني.

ومجمل هذه الانتقادات الأمريكية لأداء إدارة بوش أثناء عدوان تموز ٢٠٠٦ على لبنان تؤشر إلى حجم الفشل الذي لحق بالمشروع الأمريكي للشرق الأوسط الجديد مما حرك الحريصين على هذا المشروع للتنبيه للخسائر التي قادت إليها رعونة بوش وإدارته وهو الأمر الذي يجب أن يحرك الحريصين على مستقبل أمتنا للبناء على الإنجاز الذي حققه حزب الله في مواجهة المشروع الأمريكي للشرق الأوسط الجديد وأول ذلك بالتصدي لثقافة الهزيمة التي يسعى أصحابها إلى تثبيط عزيمة الأمة وزرع اليأس في نفوس أبنائها، والتصدي لثقافة الهزيمة يعني التأكيد على ثقافة المقاومة التي صار الحديث يكثر عنها بعد انتصار المقاومة الإسلامية في حرب تموز ٢٠٠٦ كواحدة من أهم نتائجها.

ثقافة في مواجهة أخرى

إن من أهم نتائج وتداعيات انتصار المقاومة في حرب تموز ٢٠٠٦ تنامي الحديث عن ثقافة المقاومة في حياة الأمة أكثر من الماضي فقد صارت حاجة الأمة إلى ثقافة المقاومة ضرورة من ضرورات الوجود والاستمرار لمواجهة الحرب الشاملة التي تُشن على أمتنا وأبنائها من قبل الاستكبار الأمريكي وحلفائه وأدواته لبناء الشرق الأوسط الجديد وفق المقاييس الأمريكية الصهيونية.

هذه الحرب التي تبدأ بسلب الإرادة السياسية للأمة وصولاً لاجتثاث وجودها الحضاري بكل مكوناته الثقافية والسياسية والتعليمية والاقتصادية والاجتماعية والقيمية ومحاولة فرض النموذج الغربي على كل مكونات حياتها. وفي هذا السياق تدخل معركة الحجاب ويدخل إصرار الولايات المتحدة الأمريكية على التدخل في المناهج التعليمية في العالم

الإسلامي وفي طليعتها مناهج المدارس والمعاهد والجامعات الدينية لتفريغ كل المناهج من مضامين التمايز وعناصر المقاومة لتتماشى مع الأهداف التي يريدها أعداء الأمة. وفي هذا السياق أيضاً تدخل الهجمة الثقافية والإعلامية الشرسة على العالم الإسلامي عبر تشويه صورة الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام وتعميم ما صار يعرف بالاسلاموفوبيا ويدخل في ذلك تشويه القيم السامية للأمة وفي طليعتها المقاومة والسعي لتوصيفها في خانة الإرهاب وفق المقاييس الأمريكية والعمل على تشويه رموزها واغتيالهم معنوياً إذا لم يتيسر اغتيالهم جسدياً حيث تسخر لذلك مؤسسات إعلامية ضخمة وعند وسائل الإعلام لا بد لنا من وقفة لنحذر فيها من تدفق المال الأمريكي خصوصاً والغربي على وجه العموم لإقامة عشرات الفضائيات ومئات مراكز الدراسات وآلاف المطبوعات والندوات والمؤتمرات وكلها مسخرة لتغييب ثقافة أمتنا وحضاراتها بغية فرض نموذج ثقافي وحضاري جديد عليها يفقدها تفردها وشخصيتها المتميزة واستغلال أراضيها في أبشع وأكبر عملية إرهابية لاستئصال حضارة متكاملة لأن أبناءها يرفضون التحول إلى مجرد أدوات وعبيد للاستكبار الأمريكي المتفرد بقيادة العالم في هذه المرحلة من تاريخ البشرية ومن غريب الأمر أن جزءاً كبيراً من العمليات الارهابية التي تستهدف الأمة تموّل بأموال وامكانيات هذه الأمة عبر وكلاء الاستكبار الأمريكي في بلادنا الذي يمارس أيضاً الارهاب الاقتصادي ضد أمتنا بصور شتى من بينها الاستيلاء على موادها الخام غصباً أو بأسعار زهيدة ثم إعادتها سلعاً يتقاضى مقابلها أسعار باهظة وعبر تجميد أرصدة الدول والجمعيات والجماعات والأفراد بحجة تجفيف منابع الارهاب وظل أن ننتظر فتوى بتحريم الزكاة حتى لا تُستخدم بتمويل الإرهاب وفق المنظور الأمريكي الذي صار يتدخل في شؤون فتاوانا الدينية في إطار ما يسميه بالحرب على الإرهاب مع أن الوقائع والحقائق تؤكد أننا أول ضحايا الإرهاب خاصةً وأن الإرهاب الموجّه لأمتنا عبر المشروع الأمريكي للشرق الأوسط الجديد يأخذ شكل الحرب الشاملة عسكرياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً وعلمياً ونفسياً وإعلامياً وثقافياً وهذه الحرب التي يقودها المشروع الأمريكي للشرق الأوسط الجديد هي نتاج ثقافة متأصلة عند أعداء هذه الأمة ثقافة زرعت فيهم دموية تبررها تعاليم التلمود الذي يقود المحافظين الجدد في

واشنطن وحلفائهم في تل أبيب وهذه الدموية تتجلى في سلسلة المذابح المستمرة التي يتعرض لها أبناء الأمة والتي شهدنا نماذج منها أثناء عدوان تموز ٢٠٠٦ على لبنان والتي تعكس همجيتها الصفة الثانية من صفات هذا العدو وهي صفة الحقد الأعمى الذي تجعله لا يستثني حتى الطفل والمرأة ولا المقدسات في عدوانه المستمر على أمتنا.

وفوق حقده ودمويته فإن هذا العدو يتصف بالخيانة والغدر لذلك لا يحترم عهداً ولا ميثاقاً ولا اتفاقاً ولا يترك فرصة سانحة يواصل فيها حربه الشاملة ضد أمتنا إلا واستغلها وهي حرب تحتاج من أبناء الامة إلى مواجهة شاملة أول خطواتها أن تخرج الأمة من حالة الاقتصار على وصف الواقع وتحديد الداء والشكوى من مرارته ولعن العدو إلى مرحلة العمل الجدي والمباشرة بعلاج هذا الواقع لتغييره في إطار استراتيجية شاملة أول مداميكها التأكيد على ثقافة الوحدة باعتبارها تكليفاً شرعياً وضرورة دنيوية علماً بأن فرقة الأمة هي من أهم أسلحة العدو وأدواته لتحقيق أهدافه في إبقاء أمتنا ضعيفة ممزقة جاهلة.

أما ثاني مداميك الاستراتيجية الشاملة فهو ترسيخ ثقافة المقاومة ونشرها بدلاً من ثقافة الخنوع التي يحاولون تربية أبناء الأمة عليها تحت مسمى ثقافة السلام.

ولترسيخ ثقافة المقاومة فإنه لا بد من التأسيس لخطاب إبداعي جديد لأمتنا ليتولى هذا الخطاب ترسيخ مفاهيم النصر والأمل والتفوق والوحدة وليشحن الأمة بالقدرة على إحداث التغيير من خلال بناء روح جديدة تسري في الأمة تنشر بين ابنائها روح المقاومة والصمود والثقة بالنفس والقدرة على صناعة المستقبل الذي تريده من خلال امتلاكها لقرارها ولقدرتها على الفعل والإصرار على الانتصار وتحقيق الأهداف وهذا يستدعي أن تستبدل مفردات تقسيم الأمة وتخذيلها في الخطاب السائد الآن بمفردات الوحدة والثقة عبر الخطاب الإبداعي الجديد الذي ندعو إلى تأسيسه ليركز على الجوانب الإيجابية في حياة الأمة للبناء عليها مع التأكيد على ضرورة التصدي لمواطن الخلل لمعالجتها. نريد خطاباً يستبدل مفردات التثبيط والتشكيك بمفردات التحريض والصمود والمقاومة وذلك في إطار السعي لإعادة بناء أبناء الأمة عقدياً وتثقيفهم تثقيفاً شاملاً بقضيتهم وتربيتهم على الانضباط والانتاج والتحلي

بالمناقبية الأخلاقية التي تتجسد بالالتزام المسلكي النابع من قيم ثقافة المقاومة التي هي في الأصل ثقافة عملية علمية تطبيقية تسعى لتقديم الحضاري الإسلامي لكل مكونات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والصحية والتعليمية وفي هذا المجال يمكن دراسة وتعميم تجربة المقاومة الإسلامية سواءً في لبنان أو في فلسطين وتطويرها وتعميمها لإخراج الأمة من أسر النموذج الغربي الاستكباري الذي يحاولون تذويبها فيه عبر ما يسمى بثقافة السلام التي ننادي بالتصدي لها عبر ترسيخ ونشر ثقافة المقاومة والتي تحتاج أول ما تحتاج إلى امتلاك أدواتها وفي الطليعة منها بناء منظومة ثقافية وإعلامية إسلامية تؤمن بثقافة المقاومة وهنا أيضاً يمكن دراسة وتعميم تجربة حزب الله الإعلامية والثقافية لتتصدى هذه المنظومة لكل الألسن والأقلام التي تسعى لجعل الخيانة وجهة نظر والعمالة واقعية والاستسلام جنوح للسلم، وهذا يستدعي أيضاً تطهير مؤسسات الأمة وخاصة الثقافية والإعلامية من عناصر الطابور الخامس الذي يقوم بدور المنافقين تثبيطاً لعزيمة الأمة وشقاً لصفها ودفعها للاستسلام لعدوها.

ولا يفوتنا ونحن ندعو إلى بناء منظومة ثقافة المقاومة أن ننبه إلى ضرورة أن نعيد للمساجد دورها في التربية والتعبئة والتحريض لإبقاء جماهير الأمة في حالة جهوزية واستعداد ويقظة وحذر لكل أبعاد الحرب الشاملة التي تتعرض لها الأمة تحت مسميات مختلفة لكنها جميعها تلتقي في جوهر واحد هو إخضاع الأمة للكيان الصهيوني عبر تمزيقها إلى كيانات وكونتونات يكون الكيان الصهيوني أكبرها، وهذا هو الهدف المركزي للمشروع الأمريكي للشرق الأوسط الجديد الذي تلقى ضربة قوية على يد المقاومة الإسلامية في لبنان أثناء حرب تموز ٢٠٠٦ أفقدته صوابه واضطرته إلى استنفار رصيده الاحتياطي الممثل ببعض القوى السياسية والإعلامية العربية فكلفها بمشاغلة قوى الممانعة والمقاومة في الأمة سواءً في لبنان أو فلسطين ولذلك لا نستغرب هذه الدعوات المحمومة لنزع سلاح المقاومة واعتبار حركات المقاومة مليشيات مسلحة والسعي لتشويه قياداتها بعد أن قدمت هذه القيادات نموذجاً رائعاً في التلاحم مع مقاتليها وجماهيرها جعلت هذه الجماهير تشكل حاضن لهذه المقاومة سواء في لبنان أو غزة وهو الأمر الذي يستوجب السعي لتعميم هذه النماذج القيادية

مترافقاً مع السعي لتوسيع حاضنة المقاومة بتوسيع التواصل مع جماهير الأمة بكل السبل والوسائل لأن هذه الجماهير هي الرصيد الحقيقي للمقاومة ولأن الحرب الشعبية هي أملنا الوحيد في دحر العدوان سواء اتخذ هذا العدوان اسم اسرائيل أو اسم الشرق الأوسط الجديد وفق المقاييس الأمريكية.

إن التواصل مع جماهير الأمة يعني في جوهره استكمال بناء مجتمع النصر الذي أسست له المقاومة الإسلامية في لبنان ممثلةً بحزب الله عبر انتصارها الأول عام ٢٠٠٠ والذي أثبتت من خلاله أن العدو قابل للهزيمة والانسحاب بدون قيد أو شرط كما انسحب من جنوب لبنان وعبر انتصارها الثاني عام ٢٠٠٦ والذي اثبت من خلاله زيف الادعاء بأن قرارات الولايات المتحدة الأمريكية ومشاريعها قدر لا يرد فقد انهزمت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها وعلى رأسهم الكيان الصهيوني وعملائها في وطننا الذين قدموا لعدوان تموز ٢٠٠٦ الدعم اللوجستي والسياسي، وحاو ل بعضهم استكمال العدوان بعد أن هدأت المدافع على الجبهات من خلال إصرار هؤلاء على انكار انتصار المقاومة رغم اعتراف العدو نفسه بهذا الانتصار وبمحاولة هؤلاء أيضاً جر المقاومة إلى معارك جانبية سياسية ومذهبية وطائفية. ولعب الولايات المتحدة الأمريكية بورقة هؤلاء يعني في صورة من صوره أنها استنفذت رصيدها الاستراتيجي ولجأت إلى رصيدها الاحتياطي الممثّل بالعملاء سياسيين وكتّاب دولاً وأحزاب وخطر هؤلاء يكون في بعض الأحيان أكبر من خطر العدو نفسه لأنهم يطعنون في الظهر ويخذلون عند المنعطفات الصعبة كما فعل المنافقون يوم أحد، ولأنهم يعيشون بين ظهرانينا ويتحدثون بلغتنا ويظهرون بمظهر الحريص على الوطن باعتبارهم شركاء فيه، ولهذا كله فإنه علينا أن نكشف زيف هؤلاء ونقيم الحجة عليهم لنطهر الصفوف منهم ونحن نسعى إلى تحقيق وحدة الوطن والأمة كأهم أسلحة المواجهة مع المشروع الأمريكي الذي يريد أن يبني منطقتنا على أسس طائفية ومذهبية وعرقية تأخذ شكل الكنتونات التي تكون فيها اسرائيل صاحبة اليد الطولى ولذلك فإن علينا أن نسعى لترسيخ ثقافة الوحدة كمكون أساسي من مكونات ثقافة المقاومة. ونعتقد أن الفرصة مهيئة لذلك.

لقد أثبت انتصار المقاومة سلسلة من الحقائق لا بد من السعي لترسيخها في المرحلة القادمة وأهم هذه الحقائق:

❖ أكذوبة تفوق العدو وتماسكه وأنه صاحب الجيش الذي لا يقهر فقد تمكنت المقاومة ليس من قهر هذا الجيش بل لقد جدعت أنفه وكسرت ظهره وأذهبت هيبته وصار من المهم أن نرسخ حقيقة ضعف العدو ووهنه ليصبح جزء من ثقافة جماهير الأمة في إطار تعبئتها للمواجهة الشاملة مع العدو بعد أن تمكنت المقاومة المنتصرة في لبنان من دحر مقولة أن أمتنا غير قادرة على الانتصار بل وحتى الصمود، وأثبتت أن المقاتل العربي والمسلم قادر على تحقيق الانتصار عندما تتاح له الفرصة للقتال الحقيقي.

❖ كشف العدوان على لبنان في تموز ٢٠٠٦ حقيقة التحالفات والعلاقات في المنطقة وأكد العلاقة العضوية غير القابلة للانفصام بين الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني ومن ثم فإنه لا يجوز تصنيف الولايات المتحدة كوسيط نزيه في ما يسمى بالسلام بين أمتنا والكيان الصهيوني فقد أثبت العدوان أن أمريكا عدو. وعدو يمكن الانتصار عليه، وعلينا في المرحلة القادمة أن نتعامل معه على هذا الأساس.

❖ سقوط كل الادعاءات بأن المقاومة عمل عبثي وغير مجدٍ لذلك فإن علينا أن نتصدى لكل محاولات السخرية من شعارات الممانعة والمقاومة والرد على مقولات بأن المقاومة هي حالة وممارسة إرهابية أو تعبير عن عجز خلل.

❖ أثبت انتصار المقاومة زيف أكذوبة أنه لا أمل للأمة في كسب مواجهة مسلحة مع العدو وصار علينا أن نرسخ حقيقة القدرة على هزيمة العدو عسكرياً بعد أن أصبحت لدينا أدلة مادية ملموسة ممثلة بسلسلة انتصارات المقاومة من جهة وآخرها انتصار تموز ٢٠٠٦ مثلما صار لدينا سلسلة من الشواهد والبراهين والأدلة على إخفاقات مشروع التسوية وما يسمى بالسلام الذي حاول أن يصوروه لنا بأنه الخيار الوحيد أمام أمتنا وبناءً عليه تم إسقاط الخيار العسكري من قاموس النظام الرسمي العربي فجاء انتصار المقاومة ليعيد لهذا الخيار اعتباره وعلينا أن نؤكد ترسيخ قيمة هذا الخيار في وجدان أبناء الأمة لتصبح المقاومة هي الخيار الذي يقود لانتصارنا النهائي عبر عملية تنسيق حقيقي وتكامل فعلي بين كل قوى الممانعة والمقاومة في بلادنا، ومن خلال ترسيخ القناعة له عند الجميع

بأن المقاومة جزء أساسي من مشروع النهوض الحضاري ورافعة رئيسية لهذا المشروع وأن تقرير مصيرها أو مصير سلاحها ليس من حق هذا النظام السياسي أو ذاك فالمقاومة ملك للأمة كلها والاعتداء عليها اعتداء على الأمة كلها والدفاع عنها واجب على كل الأمة.

❖ إن الحرب التي تُشنّ ضد أمتنا تأخذ طابعاً شمولياً لذلك فإن علينا التصدي لها بكل أدوات العمل المقاوم ابتداءً من العمل الاقتصادي بكل مكوناته وأولها بناء اقتصاد الانتاج ومقاومة نزعات الاستهلاك في بلادنا، وثانيها جعل المقاطعة للعدو ممارسة يومية لكل فرد من أفراد الأمة مروراً بالعمل السياسي الذي يجب أن ينصبّ على الدفاع عن حق الأمة في المقاومة وصولاً إلى العمل العسكري المسلح.

❖ لعبت المصطلحات والمفاهيم دوراً مهماً في المواجهة مع العدو وخدمة مخططات هذا العدو تعرضت بلادنا لهجمة شرسة من المصطلحات التي جعلت المقاومة إرهاباً والشهيد انتحارياً والاستسلام سلاماً، والعدو شريكاً، وحتى نتمكن من ترسيخ النتائج التي حققها انتصار المقاومة في تموز ٢٠٠٦ لا بد من بذل جهد حقيقي في معركة المفاهيم والمصطلحات السائدة في بلادنا لإعادة الاعتبار للمفاهيم التي حاول العدو تغييبها وفي طليعتها أن نؤكدعلى حقيقة الصراع ببعده الديني والحضاري وأن القدس لبّ هذا الصراع والدين جوهره وأنه صراع وجود لا صراع حدود وأن الانتصار في هذا الصراع يحتاج إلى الأخذ بأسباب البناء التربوي والثقافي لتدريب الجماهير على الصبر والتحمل وفضيلة التقشف وإحياء روح الانتاج لديها وقد أثبتت التجارب أن جماهير الأمة مؤهلة لذلك ولعل صبر وتحمل جماهير المقاومة أثناء عدوان تموز ٢٠٠٦ يرسم صورة مشرقة في هذا المجال يجب البناء عليها لبناء مجتمع النصر الذي تسوده روح المسؤولية واليقظة وشدة الملاحظة والتميز بالجهوزية الدائمة، وتلعب فيه جماهير الأمة دوراً مركزياً من خلال تصديها لتحمل مسؤولياتها وأولها تشكيل حاضنة حامية لقوى المقاومة والممانعة في الأمة.

❖ كشف عدوان تموز ٢٠٠٦ أن العملاء يلعبون دورا مركزياً في خدمة مخططات العدوّ وحتى نتمكن من ترسيخ نتائج انتصار تموز ٢٠٠٦ فإنه لا بد من بذل جهد خاص لتطهير صفوف الأمة من العملاء عبر تذكيرهم بمصير من سبقهم من العملاء سواء في جنوب لبنان أو غيرهم وعبر ردعهم

بكل الوسائل بما في ذلك تعرية ممارساتهم لأن من بينهم سياسيون كبار لا يتورعون عن تسويق عمالتهم على أنها إنقاذ للوطن من الذين يريدون جره إلى حرب مع عدو قادر وهم يقصدون هنا قوى المقاومة في الأمة.

❖ إن بناء مجتمع النصر الذي أسست له انتصارات المقاومة يستدعي استمرار تحريض الجماهير وتعبئتها وإبقائها في أجواء المواجهة والعمل على إعادة الاعتبار للرأي العام العربي ليعود تأثيره على صناعة القرار السياسي للنظام الرسمي العربي الذي يلاحظ أنه خلال السنوات الأخيرة لم يعد يكترث لردات فعل الرأي العام العربي.

❖ كشف عدوان تموز ٢٠٠٦ على لبنان حجم التواطؤ الدولي مع العدو ابتداءً من مجلس الأمن مروراً بمواقف غالبية دول العالم مما يؤكد سقوط الخيار الدبلوماسي لحل الصراع مع العدو الصهيوني واستعادة حقوق الأمة من خلال الجهود الدبلوماسية غير أن اللافت أن هناك تباين بين مواقف بعض الحكومات وشعوبها مما يستدعي تنشيط الدبلوماسية الشعبية لتجنيد الأنصار للمقاومة من أبناء الشعوب.

❖ أكد انتصار المقاومة أهمية الدور الذي تلعبه القيادة التي تضرب من نفسها القدوة والمثل في الصمود والتصدي والالتحام مع جماهيرها لتحقيق الانتصار وهو النموذج الذي علينا أن نسعى لتعميمه وترسيخه لدى أبناء أمتنا.

وبناء مجتمع النصر يحتاج إلى حسن اختيار الأساليب والوسائل الملائمة لكل مرحلة وكل حالة.

❖ لقد تمكنت المقاومة من تعطيل الآلة العسكرية المعتدية من لعب دورها في تحقيق المشروع الأمريكي لبناء الشرق الأوسط الجديد وفق المقاييس التي يريدها أصحاب هذا المشروع غير أن علينا أن نعترف بأن أدوات أخرى لهذا المشروع تحقق نجاحات ملموسة في صفوف أمتنا وعلينا أن نسعى لتعطيلها هي الأخرى في إطار مفهوم شامل للمقاومة يتصدى للتغلغل الأمريكي وعبر ما صار يعرف بالتمويل الأجنبي وبمشاريع الإصلاح ومشاريع نشر الديمقراطية التي تخترق مؤسسات المجتمع الأهلي في بلادنا أحزاباً وجماعات وجمعيات والتي تخترق منظومتنا القيمية عبر التركيز على قضايا المرأة والشباب وثقافة الجندر إلى آخر ما يطرح في بلادنا من قضايا للنقاش الذي يستهدف هز الثوابت والعبث بقيم الأمة مستخدماً

بذلك أدوات الثقافة والإعلام سواءً تلك التي اخترقها بالتمويل أو تلك أقامها بصورة مباشرة.

إن أمامنا طريقاً طويلاً شقته لنا انتصارات المقاومة الإسلامية في لبنان بدماء شهدائها وظل علينا أن نكون أوفياء لهذه الدماء بأن نسير على دربها ونحمي تضحياتها ونتعامل معها على أنها قاعدة مشروع النهوض الحضاري لأمتنا الذي لا بد له من أن ينتصر ليدفن المشروع الأمريكي المعتدي في رمال بلادنا كما دفنّا كل مشاريع العدوان عبر التاريخ وسنفعلها هذه المرة أيضاً والشواهد على ذلك كثيرة لعل من بينها أننا نجتمع اليوم لنتدارس كيف نرسّخ انتصاراً صنعته مقاومتنا.

المراجع والمصادر:

١ . كتاب سقوط الوهم/ تأملات في انتصارات حزب الله
بلال حسن التل/ منشورات المركز الأردني للدراسات والمعلومات/ آب ٢٠٠٦.
٢ . كتاب العداء/ صور من العداء الغربي لأمتنا
بلال حسن التل/ منشورات المركز الأردني للدراسات والمعلومات/كانون ثاني ٢٠٠٧.
٣ . وثائق بنك المعلومات في المركز الأردني للدراسات والمعلومات عمان
٤ . الموقع الالكتروني عرب ٤٨
٥ . الموقع الالكتروني للسلطة الوطنية الفلسطينية
٦ . موقع التواصل نت.
٧ . موقع ألوان الالكتروني.
٨ . موقع مركز الدراسات الإسلامية.

المقـاومـة

مـن مشروع الوطن..
إلـى مشــروع الأمــة

أيها الأخوة والأخوات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، (١) والشكر موصول للأخوة في المؤتمر الدائم للمقاومة، الذين اختاروا لمؤتمرهم هذا العام عنواناً هاماً من شأنه جلاء الصورة، وإزالة اللبس الذي يعلق ببعض الأذهان عن وجود إشكالية عند الإسلاميين في العلاقة بين المقاومة والمشروع الوطني. وهذا العنوان هو "الإسلاميون وإشكالية العلاقة بين المقاومة والمشروع الوطني". ذلك أن الدارس المتمعن لتجربة العمل الإسلامي الحركي المعاصر، وخاصة في جانب المقاومة منه، يكتشف ببساطة ويسر أنه ليس عند الإسلاميين إشكالية في العلاقة بين المقاومة والمشروع الوطني، لأنه سيكشف أن الإسلاميين كانوا دائماً جزءاً من المشاريع الوطنية لبلدانهم. بل أننا نستطيع القول إن الإسلاميين كانوا رواد معظم مشاريع التحرر الوطني في بلادنا. ومن ثم بناء الوطن الحر السيد المستقل. وأنهم كانوا هم الذين يوفرون في معظم الأحيان المناخ المناسب لحركات التحرر ثم يقودونها أو يسهمون بها، مساهمة فعّالة ورئيسية على أقل تقدير. وليس هذا بالأمر المستهجن، ذلك أن الإسلاميين هم جزء من النسيج العام لأبناء الوطن والأمة. وإنما تمايزوا عن سائر أبناء الوطن والأمة بالتزامهم بمفاهيم الاسلام خاصة في المجال السياسي والحرب و بأسماء أطر العمل التي مارسوا من خلالها دورهم في المجتمع، حيث كانوا يصرّون على أن تحمل أسماء هذه الإطار ما يشير إلى الانتماء للإسلام. وأن تتبنى هذه الأطر الإسلام كمنهج عمل. وكأنهم بذلك يمارسون نوعاً من التحدي والصمود، أمام محاولات تغييب الإسلام عن واقع المسلمين ومجتمعهم. غير أن هذه التسميات للأطر لم تكن مؤشراً على تخلّيهم عن مشكلات وهموم مواطنيهم، على العكس من ذلك فقد استغرقتهم هذه المشكلات والهموم، وكانت محور برامج عملهم، وسعيهم لحل المشاكل ومواجهة الهموم، ولكن استناداً إلى قيم الإسلام وتعاليمه التي كانت

١- بحث مقدّم إلى مؤتمر الإسلاميون وإشكالية العلاقة بين المقاومة والمشروع الوطني في بيروت يومي ١٦-١٧تموز ٢٠٠٨ بتنظيم من المؤتمر الدائم للمقاومة ومعهد المعارف الحكمية ودار الهادي.

تتعرض لمحاولات الإقصاء على يد المستعمر من جهة، وعلى يد بعض الاتجاهات الفكرية والسياسية المستغربة من شركاء الوطن من جهة أخرى. لذلك ميّز الإسلاميون أنفسهم بالتسمية التي تدلّ على انتمائهم للإسلام وتمسّكهم به كمنهج حياة لأوطانهم التي استغرقت قضاياها كل أوقاتهم وبرامجهم. وفي هذا الإطار تدخل المقاومة الإسلامية التي ميّزت نفسها بالتسمية وبالتربية الإسلامية، في سعيها لتحرير المحتلّ من أرضها وإقامة مجتمعها على أساس من تعاليم الإسلام.

وإذا كانت المفاهيم و التسمية مما ميّز الأطر التي عمل من خلالها الإسلاميون، فقد امتازوا أيضاً بأنهم كانوا يربطون المشروع الوطني بمشروع الأمة ونهوضها الحضاري. ومن موقعهم هذا وممارساتهم وطروحاتهم لمفهوم الوطن والأمة نكتشف أنه لم يكن لدى الإسلاميين إشكالية في العلاقة بين المقاومة والمشروع الوطني. وأن هذه الإشكالية إنما نشأت في أذهان بعض التيارات السياسية التي لم يفهم أصحابها الإسلام فهماً جيداً. ومن ثم أطلقوا أحكاماً مسبقة على الإسلاميين مستقاة من تجارب غير تجارب أمتنا.

إن قراءة تاريخ حركات التحرر الوطني في بلادنا تؤكد أن الإسلاميين كانوا رواد معظمها وأنهم حملوا مشاريعها الوطنية، وفي الذاكرة: عبدالحميد بن باديس وعلال الفاسي ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني وعبدالقادر الجزائري وعمر المختار. ومن بعدهم الشهيد حسن البنا والإمام موسى الصدر وصولاً إلى الإمام الخميني نسأل الله عز وجل الرضوان لهم جميعاً. فقد كان هؤلاء الإسلاميون قادة المقاومة، المبشرين بالمشروع الوطني المرتبط بنهضة الأمة.

ولعلّ من أسباب وجود لُبس عند البعض يجعلهم يتوهّمون وجود إشكالية عند الإسلاميين في العلاقة بين المقاومة والمشروع الوطني، أن هذا البعض لا يقرأ تاريخنا جيداً. وإذا قرأه فإنه يقرؤه بعيون غربية، وبمقاييس غربية، وبمفاهيم غير مفاهيم أمتنا للوطن وللمقاومة معاً. فالإشكالية تأتي من اختلال المفاهيم والمصطلحات ودلالات هذه المفاهيم

والمصطلحات في عقول الناس. وهو الاختلال الذي يجعل البعض يحصر المقاومة في كثير من الأحيان في إطار العمل العسكري الصرف. مما يجعلها مجرد ميليشيا لا تملك مشروعاً على مستوى الوطن أو الأمة، في حين أن العمل العسكري أداة من أدوات العمل المقاوم، يأتي في كثير من الأحيان متأخراً عن استخدام المقاومة لأدوات أخرى لإصلاح الخلل الذي بسببه تقوم المقاومة. وهذه سمة اتّسمت بها حركات المقاومة التي انطلقت مرتكزة على التصور الإسلامي للحياة فقد تمتعت هذه الحركات بالنفس الطويل في العمل والحركة والإعداد الفكري والعلمي والجهادي. ولم تتسرع بحمل السلاح كردّة فعل، قبل الإعداد الكافي تربوياً وفكرياً للمقاومين وللمجتمع المقاوم كأساس لبلورة مشروع وطني تسعى المقاومة إلى إقامته عند تحقيق أهدافها. لذلك سعى الإسلاميون إلى النهوض بالناس نهوضاً شاملاً. فالمقاومة في جوهرها ووفق التصور الإسلامي حركة إصلاح لخلل أصاب مسيرة الأمة، في مرحلة من مراحل تاريخها، قد يأخذ شكل الإستبداد السياسي أو الفساد الإداري أو الاستغلال الاقتصادي أو التخلف الاجتماعي أو القهر الثقافي أو سلب الإرادة الوطنية أو احتلال الأرض أو هذه كلها. مما يجعل الواعين من أبناء الأمة يفكرون في إصلاح هذا الخلل عبر مشروع متكامل. يتم من خلاله إصلاح أوضاع الوطن والأمة. وبذلك تصبح المقاومة حالة تعبير عن وعي يدبّ في أوصال الأمة. لكنها في الوقت عينه أداة لنشر الوعي بين أبناء الوطن والأمة كافة. وهو ما تؤكده أي دراسة متأنية لتاريخ حركات المقاومة والثورات الشعبية في العالم، وعلى مدار التاريخ. حيث يتبيّن للدارس أن حركات المقاومة قامت أحياناً لرفض الظلم في مجتمعها ساعيةً إلى بناء مجتمع العدل والمساواة، وبذلك تكون المقاومة مشروعاً وطنياً لبناء مجتمع العدل والمساواة والكفاية.

والظلم الذي تقوم المقاومة في وجهه قد يكون ظلماً سياسياً، أو اجتماعياً، أو اقتصادياً، أو ثقافياً. لذلك تطرح المقاومة في مواجهته مشروعاً تغييرياً تنويرياً يستهدف نشر الوعي بين أبناء الوطن الواحد، والأمة الواحدة، الذين تلتفّ غالبيتهم حول المقاومة: حيث يقف في

مواجهتها ومواجهة مشروعها في الغالب الإقطاع السياسي والاجتماعي والزعامات التقليدية والعملاء والطائفيين. لأنه ليس من مصلحة هؤلاء قيام وطن على أسس العدل والمساواة والحرية. وهو الوطن الذي تسعى إلى إقامته حركات المقاومة، التي تفضح هؤلاء وممارساتهم واستغلالهم لأبناء الوطن والأمة. لذلك فإن هؤلاء الإقطاعيين والطائفيين والعملاء لا يتورعون عن التحالف مع أعداء الوطن والأمة. حتى أولئك الذين يحتلّون أجزاءً من أرض الوطن والأمة. كما أن المقاومة في مواجهتها لزعماء الإقطاع والطائفية تقدم نماذج جديدة من القيادات التي تلتصق بالجماهير، وتعيش بينها، وتعيش آلامها، فتلتفّ الجماهير حول المقاومة وقياداتها، وتشكّل لها حاضنة. وبهذا الالتفاف تؤسس المقاومة لمشروع الوطن الواحد الموحّد.

ومثلما أن المقاومة تقوم بمواجهة الظلم السياسي والاجتماعي. فإنها تقوم للدفاع عن قيَم إنسانية لعل في طليعتها الحرية والعدالة والمساواة وحق الشعوب في تحرير أرضها، وتقرير مصيرها، والتمسك بكافة حقوقها السيادية فتسعى لاستعادتها وحمايتها. وبذلك تشكّل المقاومة حالة احترام للذات والكرامة الوطنية، ممّا يشكل أيضاً مدماكاً مهماً من مداميك بناء المشروع الوطني. وبهذا تصبح المقاومة أيضاً في وجه من وجوهها عملية صياغة جديدة للمجتمع، وهويته وعلاقاته مع الآخر، فيتوحّد أمام الخطر الخارجي وينسى خلافاته الداخلية. فتصبح المقاومة أيضاً أداة من أدوات تحقيق الوحدة الوطنية على أساس الوعي للحقوق وجمع أبناء الوطن حول هذه الحقوق. ساعية إلى تغيير واقعهم عبر سعيها لبناء مجتمع مقاوم، يتبنى منظومة جديدة من المفاهيم السياسية والاقتصادية والأخلاقية والتربوية. حيث يتم تربية المقاومين والمجتمع المقاوم على التضحية والإيثار وتفضيل المنهج على النفس. فالمجتمع المقاوم هو مجتمع تجرّد ونزاهة، وفي إطار ذلك يتم تطهير المجتمع من آفاته، خاصة آفات العمالة والخيانة، والإقطاع السياسي والاجتماعي والطائفية والمذهبية. لذلك عمل القادة الأوائل المؤسسون للمقاومة الإسلامية على ضرورة بناء

الفرد الذي يؤمن بالتغيير ويؤمن بأنه جزء من الجماعة وأن عليه أن يعمل لتغيير واقعها وتحقيق أهدافها الكبرى. فهناك تلازم حتمي بين تربية الفرد وإعداده وبين صورة المجتمع وكينونته.

وبهذا يمكننا القول بأن المقاومة بوجه من وجوهها هي عملية إحياء لروح الجماعة والمسؤولية الفردية، ولروح التضامن، تعيد صياغة الإنسان والمجتمع من خلال الممارسة العملية خاصة على صعيد إعادة بناء ثقافة المجتمع من خلال أدبياتها وسلوكياتها ومؤسساتها. وبهذا الدور الذي تلعبه المقاومة فإنها تتحول إلى مؤسسة من مؤسسات التنشئة الوطنية، التي تعيد صياغة الفرد على قيم جديدة، وبناء الوطن على أسس جديدة أيضاً. وعندما تتراكم انجازات المقاومة فإن تجربتها وتاريخها يصبحان محل دراسة لأبناء الوطن، وجزء من مناهج التنشئة الوطنية. وهذه واحدة من الحالات التي تكون فيها المقاومة وسيلة وهدف في الوقت عينه. فهي وسيلة عندما تتولى تربية الفرد وتسهم في بناء الوطن، وهي هدف عندما يدرسها أبناء الوطن كجزء من تاريخهم المشرق الذي يعتزون به ويسعون للحفاظ على منجزاته.

إن هذا المفهوم لمعنى المقاومة ودلالاتها وأبعادها وأدوارها تؤكده الكتب والنظريات التي تحدثت عن المقاومة ومفاهيمها. كما تؤكّده الدراسة المتأنية لسيرة ومسيرة حركات المقاومة الإسلامية المعاصرة. تتساوى بذلك المقاومة الإسلامية ضد الوجود البريطاني في منطقة قناة السويس، والمقاومة الإسلامية في لبنان ممثّلة بحزب الله، والمقاومة الإسلامية في فلسطين. فلم يكن السلاح أول ما لجأ إليه القادة المؤسسون للمقاومة الإسلامية، فقد سبق حمل السلاح عمل موصول لنشر الوعي، وتحريض الجماهير، والسعي لبناء المجتمع المقاوم كجزء من مهمة المقاومة في التنشئة الوطنية. فقد جاب الإمام الشهيد حسن البنا أنحاء مصر محرّضاً للناس مطالباً المسؤولين بالارتفاع إلى مستوى مشروع التغيير الوطني، والإسهام في تحرير الإرادة الوطنية، ناشراً للوعي، بانياً للمؤسسات، مدرباً للشباب. ومثله فعل الإمام موسى الصدر، وآية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين،

وآية الله السيد محمد حسين فضل الله في لبنان، والشيخ الشهيد أحمد ياسين في فلسطين. ومثلهم وقبلهم فعل ذلك الشيخ الشهيد عز الدين القسام الذي ترك مسقط رأسه في سوريا ليقاتل عدوّ الأمة في فلسطين، ويحرّض أبناء الأمة على قتاله. مؤكداً على السمة الأساس في حركة المقاومة التي تستند على التصور الإسلامي، وهي ربط المشروع الوطني بمشروع الأمة.
وإن فاتنا الحديث عن تجربة من تجارب حركات المقاومة الإسلامية في مفهومها الشامل، وبطرحها لمشروع الوطن عبر مشروع الأمة، فإنه يجب أن لا تغيب عن بالنا تجربة الإمام الخميني عليه رحمات الله، وخاصة على صعيد تعبئة وتحريض الجماهير، حتى لقد سمّيت ثورته بثورة الكاسيت. وكان من أول انجازاتها إغلاق السفارة الإسرائيلية في طهران، لتحلّ محلّها سفارة فلسطين. كما بادر سماحته إلى تأسيس ودعم حركات المقاومة الإسلامية في أكثر من بقعة من بقاع الأمة، وخاصة في فلسطين ولبنان. ولعلّ الشعار الذي رفعته الثورة الإسلامية في إيران، بقيادة الإمام الخميني، حول تصدير الثورة يؤشر إلى مشروع الأمة الواحدة في فكر سماحته، الذي تصلح ثورته كنموذج واضح وجليّ يمكن من خلاله نفي وجود اشكالية في العلاقة بين الإسلاميين والمشروع الوطني. فقد أقامت الثورة الإسلامية في إيران وهي لون من ألوان المقاومة ضد الظلم والاستبداد وضد رهن الإرادة الوطنية للأجنبي، مجتمعاً تعددياً ديمقراطياً. يعيش فيه أصحاب الديانات، المذاهب والقوميات المختلفة. كما تمكّنت الثورة الإسلامية في إيران وخلال عقود قليلة، ورغم كلّ التحديات، والصعاب، والمؤامرات، من إحداث نقلة نوعية في حياة الشعب الإيراني على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والتكنولوجي. حتى صار البرنامج النووي الإيراني شغل العالم الشاغل. مثلما صارت إيران رقماً صعباً في المعادلات الإقليمية والدولية مما يؤكد قدرة الإسلاميين على حمل المشروع الوطني وإنجاحه.

إن القراءة المتأنية لتجربة ودور هذه النخبة المباركة التي شكّلت الأساس الروحي للمقاومة الإسلامية المعاصرة تقودنا إلى مجموعة من

الجوامع المشتركة بينهم أولها: أنهم جميعاً انطلقوا من المساجد، وظلّت المساجد قواعدهم الدائمة، في إشارة واضحة للهوية الحضارية للمقاومة ولشموليتها باعتبار أن الإسلام نظام حياة متكامل يستهدف بناء وطن متماسك وأمة موحدة، وبسبب ذلك فإن المقاومة الإسلامية ولدت كمشروع وطن في إطار مشروع الأمة. وهذا ما يفسر لنا سلوك القادة المؤسسين للمقاومة فرغم انشغال كل منهم بقضيته الوطنية في إطاره المحلي فقد ظلّ كل واحد منهم يصرّ على ربط قضيّته الوطنية بقضايا الأمة كلها، وظلت هذه القضايا تشغل حيزاً من فكر وعمل كل واحد منهم. ولا تناقض في ذلك، لأن الإسلام يؤمن بتكامل كل الدوائر المكوّنة للاجتماع البشري، ويرعاها بتوازن ابتداءً من الفرد الذي تجب رعايته من لحظة تكوّنه نطفة، بل من قبل ذلك بحسن اختيار المرء لشريكة حياته، وانتهاءً بلحده في آخر مشواره الدنيوي، مروراً بالأسرة القائمة على بر الوالدين، ثمّ صلة الرحم على مستوى القربى، فحُسن الجوار على مستوى الحي، وصولاً إلى الدائرة الأوسع التي هي دائرة الوطن والأمة، القائمة على الأخوة والتعاون والمناصرة. ومنظومة الدوائر هذه لا تناقض بينها في التصور الإسلامي الذي أقام علاقة تكاملية بينها وفق ميزان شديد الحساسية.

لم يغيب هذا الربط بين القضية الوطنية وقضايا الأمة للحظة عن فكر واستراتيجية وممارسة المقاومة الإسلامية في لبنان ممثّلة بحزب الله. ولعلّ الرسالة المفتوحة التي وجهها الحزب إلى المستضعفين في شباط ١٩٨٥ تعبر أوضح تعبير عن هذا الربط عند المقاومة الإسلامية بين قضايا الوطن، وقضايا الأمة. فقد أعلن الحزب في تلك الرسالة على أنه جزء من الأمة الإسلامية حيث جاء فيها: "إننا أبناء أمة حزب الله، نعتبر أنفسنا جزءاً من أمة الإسلام في العالم، التي تواجه أعتى هجمة استكبارية، من الغرب والشرق على السواء، بهدف تفريغها من مضمونها الرسالي الذي أنعم الله به عليها، لتكون خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله". كما جاء في الرسالة "وعلى هذا الأساس، فنحن في لبنان لسنا حزباً تنظيمياً مغلقاً، ولسنا إطاراً سياسياً ضيقاً، بل نحن أمة

ترتبط مع المسلمين، في أنحاء العالم كافة، برباط عقائدي وسياسي متين هو الإسلام. ومن هنا، فإن ما يصيب المسلمين في أفغانستان أو العراق أو الفلبين أو غيرها، إنما يصيب جسم أمتنا الإسلامية التي نحن جزء لا يتجزأ منها، ونتحرك لمواجهته انطلاقاً من واجب شرعي أساساً".

وقد آمنت المقاومة الإسلامية أنه حتى تحقق الأمة أهدافها فعليها أن تسعى لتحقيق وحدتها وهو ما أكدت عليه في رسالتها المفتوحة إلى المستضعفين عام ١٩٨٥ :

الله الله في وحدة المسلمين

يا أيتها الشعوب المسلمة:

حاذري من الفتنة الاستعمارية الخبيثة التي تستهدف تمزيق وحدتك، لتزرع الشقاق فيما بينك وتثير العصبيات المذهبية، السنية والشيعية.

واعلمي، أن الاستعمار ما استطاع أن يسيطر على ثروات المسلمين، إلا بعد أن سعى في صفوفهم تمزيقاً وتفريقاً.. يثير السنة على الشيعة، ويحرّض الشيعة على السنة، وأوكل هذه المهمة، فيما بعد، إلى عملائه من حكّام البلاد حيناً، ومن علماء السوء أحياناً، ومن الزعامات التي سلّطها على رقاب العباد.

فالله الله في وحدة المسلمين.. فإنها الصخرة التي تتحطّم عليها خطط المستكبرين والمطرقة التي تسحق مؤامرات الظالمين.

فلا تدعوا لسياسية "فرق تسد" أن تمارس في بلادكم، وقاوموها بالالتفاف حول القرآن الكريم: واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا _آل عمران ١٠٣.

بل إن المقاومة الإسلامية في لبنان وانطلاقاً من فهمها لعالمية الإسلام ربطت بين قضايا الوطن والأمة وقضايا كل المستضعفين في الأرض فقد جاء في رسالتها المفتوحة إلى المستضعفين "أيها المستضعفون الأحرار: إننا أمة التزمت برسالة الإسلام، وأحبت للمستضعفين وللناس كافة أن يتدارسوا هذه الرسالة السماوية، لأنها تصلح لتحقيق العدل والسلام والطمأنينة في العالم..".

ومن الجوامع المشتركة بين القادة المؤسسين، أن كلاً منهم ربط الوعظ والإرشاد بالحراك الاجتماعي والسياسي، مما هيأ الأرضية المناسبة لولادة المقاومة المسلحة التي هي خطوة متقدمة على طريق تغيير الواقع، وتحرير الإرادة الوطنية. وفي سبيل ذلك دعا القادة المؤسسون لحركة المقاومة الإسلامية إلى تغير ذهني في مجتمعاتهم وعلى مستوى الأمة. كما دعوا إلى تغيير المستوى المعيشي للناس لحفظ كرامتهم، كما رفضوا جميعهم الواقع السياسي لأوطانهم وأمتهم وسعوا إلى تغييره عبر التحريض ضده وعبر نشر الوعي وصولاً إلى العمل العسكري. باعتبار ان هذا الواقع إفراز من إفرازات الاحتلال العسكري لأجزاء من أرض الوطن والأمة كما كان الحال في القنال، وكما هو الآن في فلسطين، وبعض أراضي لبنان، والجولان والعراق وغيرها من أجزاء أرض الأمة المحتلة.

ومن الجوامع المشتركة بين القادة المؤسسين للمقاومة الإسلامية المعاصرة أيضاً ارتباطهم بالجماهير، ومواصلة توعيتها وتحريضها، عبر تجوالهم في الريف المصري كما هو حال الإمام البنا أو في قرى جبل عامل ومنطقة بعلبك والهرمل، كما كان الحال في لبنان. وقد كان تحريض هؤلاء الرواد للجماهير يركّز على دعوتها لتغيير واقعها ومعاناتها مع الحرمان وللتخلّص من الدونية وغياب العادلة. كذلك ركزوا على تدريب الجماهير للحصول على حقوقها المعيشية بالعمل عبر إقامة المؤسسات، وعبر التدريب المهني، وعبر التحريض على الانتاج. وبذلك حدد القادة المؤسسون للمقاومة الإسلامية مسارها وأهدافها وهويتها كمشروع وطن وأمة يسعى لإعادة بنائهما على أسس جديدة، وقد اتفق هؤلاء القادة على خطر الاحتلال الصهيوني، وضرورة مقاومته، داعين إلى وحدة الأمة في مواجهته. لأنه يستهدف اجتثاثها من أرضها وإزالة مقدساتها وفي مقدمتها المسجد الأقصى. وهو هدف يهودي معلَن ومقرّ من قبل الصهيونية العالمية ومدعوم من قبل معظم الغربيين الذين يؤمنون بنبوءات التوراة. وفي مقدمة هؤلاء المحافظون الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية. وعندما يتفق القادة والمؤسسون لحركات المقاومة الإسلامية على ضرورة مقاومة

الخطر الصهيوني، فإنهم يعلنون أن المقاومة تخوض حرباً ذات أبعاد حضارية، يتم فيها الصراع بين فئتين من القيم الحضارية المختلفة، الأولى تريد أن تحافظ على أقصاها، والثانية تريد بناء هيكلها مكانه. وعندما يدخل الإسلاميون هذه الحرب فإنهم يؤكدون أن مقاومتهم هي مشروع أمة وليست مشروعه فئة أو طائفة أو مذهب. وهو ما أكده السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله ونُشر في جريدة السفير اللبنانية تحت عنوان "سيرة ذاتية لحركة مقاومة عربية منتصرة _حزب الله_ حسن نصر الله" والتي تمثل شهادة كتبها رئيس تحرير جريدة السفير الأستاذ طلال سلمان وفيها يقول السيد حسن: "علينا الاعتراف أن حزبنا أكبر من الطائفة التي ينتمي إليها مناصروه، وأكبر من أي طائفة بل هو أكبر من أي كيان سياسي قائم . إننا مشروع قومي، لا تنتهي أهدافنا عند حدود لبنان مع فلسطين. ولا ينسجم مع طموحنا وبنائنا الفكري وحجمنا ووهجنا والالتفاف الشعبي العظيم حولنا".

ولعل من أهم الجوامع المشتركة بين القادة المؤسسين للمقاومة الإسلامية ربطهم جميعهم بين النظرية والتطبيق فقد سعوا جميعا إلى بناء المؤسسات الاجتماعية والتربوية والمهنية والإعلامية والاقتصادية، كخطوة متقدّمة على طريق بناء المجتمع المقاوم، الذي يتبنى مشروع الوطن الحرّ والأمة الموحّدة التي يعيش أبنائها أعزّة كرماء تقدم لهم كل صنوف الرعاية والحماية. وبذلك تكون المقاومة الإسلامية في صورة من صورها حالة تجسيد للفكر تتطابق مع الإسلام الذي نزل قرآنه منجماً حسب مقتضى الحال ليجيب على أسئلة أتباعهم وهم يبنون دولتهم وأمتهم، وهذا يعني أيضاً حالة وعي عند الرواد المؤسسين لضرورة توفير البيئة المناسبة و المتكاملة فكرياً واجتماعياً واقتصادياً لولادة المقاومة، ومن ثم حمايتها حتى تحقّق أهدافها ومن بينها تحقيق المشروع الوطني مهما طال الزمن. ذلك أن أداء الواجب في ضمير المسلم ليس مرهوناً بضمان النتائج فيكفي المسلم النية ثم الأخذ بالأسباب والنهوض لأداء واجبه وفق التوجيه النبوي "إعقل توكل" فمهمة المجتمع المسلم أن يبادر إلى أداء واجبه دون

انتظار نتائج سريعة. فلو كانت المباشرة بالعمل مرتبطة بسرعة النتائج لما أمضى رسل الله سنوات طويلة حتى استيأس بعضهم من نصر الله. ولكنهم لم يتقاعسوا عن أداء واجب الدعوة. وكذلك المسلم فإنه مكلّف بأداء واجباته الشرعية، ومنها المقاومة للدفاع عن الوطن تاركاً النتائج حتى تكتمل شروطها ويحين أمر الله، حتى لو تأخر هذا الأمر لسنين وعقود، وكلف آلاف الشهداء، ولذلك قام الجهاد في سبيل الله على النصر أو الشهادة وإنما يكون النصر للجماعة وتكون الشهادة للفرد الذي استشهد حتى تحقق الجماعة انتصارها.

لقد كان بناء المجتمع المقاوم هدفاً رئيسياً للقادة المؤسسين للمقاومة الإسلامية المعاصرة. وأول شرط من شروط المجتمع المقاوم أنه مجتمع موحّد. مستلهمين في دعوتهم لوحدة المجتمع والوطن والأمة تجربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيم الإسلام وتعاليمه، ولعلّ فهم هذه القيم والتعاليم، بالإضافة إلى استلهام تجربة رسول الله يحولان دون وجود أية إشكالية عند الإسلاميين في العلاقة بين المقاومة والمشروع الوطني. ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفوْر وصوله إلى المدينة المنورة شرع في تنظيم دولته الجديدة، من خلال تنظيم العلاقة بين سكانها على اختلاف أديانهم وأعراقهم. وهو ما حدّدته بوضوح صحيفة المدينة المنورة التي أعلنت ولادة دولة مدنيّة لا علاقة لها بمفهوم الدولة الدينية التي عرفها العالم في العديد من أجزائه، وفي العديد من مراحل تاريخه. فالدولة وفق مفهوم الإسلام وكما أسسها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار على نهجه الخلفاء هي دولة سلم أهلي قائمة على أساس التسامح والتناصح والتكافل والكفاية والرعاية. وهي دولة سلام لا تعتدي إلا على من يعتدي عليها. وهي تقوم أولاً على تعدّد الأعراق والألوان، وهذا ما نفهمه من قوله عليه السلام: "بلال سابق الحبش، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق الفرس" وهؤلاء السابقون الثلاثة وحّدهم الدين، رغم اختلافهم في العِرق واللون لذلك فإن المشروع الوطني القائم على أساس الإسلام، والذي بشّر به القادة المؤسسون لحركة المقاومة الإسلامية مشروع يؤمن بالتعدد العرقي مثلما

يؤمن بتعدد الألوان وهي حالة تاريخية دائمة في حياة أمتنا.

ومثلما تقوم الدولة وفق تعاليم الإسلام التي استلهم تجربتها القادة المؤسسون لحركة المقاومة الإسلامية على تعدد الألوان والأعراق، فإنها تقوم على التعدد الديني انطلاقاً من قاعدة "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" وهذا الاعتراف بتنوع الأديان في الدولة التي تقوم وفق تعاليم الإسلام كان واضحاً أبرز الوضوح في صحيفة المدينة التي نظمت أول وطن مستقلّ للإسلام والمسلمين. فقد أقرّت صحيفة المدينة لغير المسلمين من مواطني الدولة الناشئة يهود ومشركين بحقّهم في حرية الاعتقاد وممارسة طقوسهم الدينية في معابدهم. بل لقد سمح رسول الله عليه السلام لوفد نصارى نجران الذي جاء لمباهلته عليه السلام بإقامة صلاتهم في مسجده. حيث خصّص لهم جنباً من المسجد كانوا يقيمون ويصلون فيه، في حين كان الرسول والمسلمون يصلّون في الجانب الآخر من مسجده عليه السلام. وهي نفس الممارسة التي تكررت بعد ذلك كثيراً في تاريخ أمتنا. من ذلك أن كنيسة يوحنا الكبرى في دمشق التي صارت فيما بعد الجامع الأموي، فقد وافق المسلمون بعد فتح دمشق على أن يصلوا فيها فكان أبناء الديانتين يصلّون في نفس الوقت فئة منهم تتجه نحو الكعبة والثانية نحو القدس.

إن صحيفة المدينة هي أول دستور للمواطنة في التاريخ، يقوم على احترام حقوق الإنسان المكرّم أصلاً "ولقد كرمنا بني آدم". أساس المفاضلة بين المواطنين فيها التقوى "إن أكرمكم عند الله أتقاكم". و"لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى"، ومن مكونات التقوى البر والأمانة والإخلاص والالتزام الأخلاقي. وبذلك فإن مقياس المفاضلة الذي اعتمدته الدولة الإسلامية متاح لجميع رعاياها من المسلمين، ومن غير المسلمين، الشركاء في الوطن والمواطنة وفق التصوّر الإسلامي الذي يؤمن بوحدة الدين وتنوّع الشرائع "لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة" "ولو شاء ربك لآمن من في الأرض جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين". و"فمن شاء فليؤمن ومن شاء

فليكفر" و"لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" و "ولتجدنّ أقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى". لذلك فقد ضمنت صحيفة المدينة لغير المسلمين عدم التدخل في شؤونهم الداخلية، وأحوالهم الشخصية، فيما يتعلق بالقضاء. ونظّمت الوضع الجنائي بين الناس على أساس أعرافهم. غير أن الصحيفة ألغت الطائفية السياسية عندما ألغت الدور السياسي للقبيلة وأبقت دورها الاجتماعي. كما اعتبرت الصحيفة كل سكّان المدينة بصرْف النظر عن دينهم مواطنين متساويين في الحقوق والواجبات فحدّدت ما لهم من حقوق، وما عليهم من واجبات. ولم تعتبر الصحيفة اختلاف الدين موجباً لحرمان أحد من حقوقه.

كما نظمت الصحيفة العلاقة بين مواطني الدولة على أساس المساواة والمناصرة، وعلى أساس البر والنصيحة "فالجار كالنفس غير مضار ولا آثم". و"وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم".

كما جعلت الصحيفة الدفاع عن الوطن مسؤولية جميع مواطنيها وإن اختلفت دياناتهم. وهو ما ورد في أكثر من فقرة من فقرات الصحيفة فمما جاء في الصحيفة "وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما زالوا محاربين" و "أن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصرة على من حارب أهل هذه الصحيفة" و"أن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة" و "أن على كل أناس حصتهم على جانبهم الذي قبلهم".

إن قراءة نصوص صحيفة المدينة التي نظّم فيها الرسول صلى الله عليه وسلّم علاقات الدولة الناشئة تبين أن العلاقة بين المسلمين وغيرهم خاصةً أبناء وطنهم تقوم على حرية الاعتقاد، وهي أسمى أنواع الحرية. وقد امتدت حرية الاعتقاد عند المسلمين لتشمل بالإضافة لليهود والمسيحيين والصابئين، الزداشتيين، والهندوس، والبوذيين. كما اعترف المسلمون بالمجوس كأهل ذمة، لقبول الرسول عليه السلام الجزية منهم، وصار لهم مثلما لليهود والمسيحيين رئيس يمثّلهم لدى الخليفة. وبسبب هذه الحرية في الاعتقاد، ظلّ المسيحيون بعد الفتوحات الإسلامية على ما كانوا عليه من حيث الدين وطقوسه يقيمون الصلاة في كنائسهم، كما كانوا

يقيمونها قبل الإسلام. يأتيهم الأساقفة والقساوسة من أنطاكية والقسطنطينية. وظلّوا يتكلمون بلغة روما ويعتقدون معتقداتها تماماً مثلما ظلّ أقباط مصر يتكلمون بلغتهم إلى ما بعد دخول الإسلام مصر بمئات السنين. وبسبب هذه الحرية في الاعتقاد أيضاً ظل أصحاب الديانات الأخرى يعيشون في كل بقاع العالم الإسلامي مدنه وقراه وبواديه. في حين تم استئصال المسلمين واليهود من الأندلس بعد سقوطها بيد الإسبان وفي التاريخ أن الإمبراطور شارل الخامس أصدر في أوائل القرن السادس عشر مرسوماً في اسبانيا ضد من أسماهم بالهراطقة وفي طليعتهم المسلمن واليهود. وصار يُعاقب كل من لا يعترف بصحة العشاء الرباني كما يراها شارل بالشنق والحرق وتمزيق الجثة ولوي اللسان. وكانت أوروبا تنظر إلى اختلاف المذهب كجريمة وكسبب لإشعال الحرب. ولذلك قال العالم الألماني آدم ميتز: "إن أكبر فرق بين الامبراطورية الإسلامية وبين أوروبا التي كانت كلها على المسيحية، يتمثّل في وجود عدد هائل من أهل الديانات الأخرى بين المسلمين". بل إنه عندما كان يفكّر بعض حكّام المسلمين بأن يجعل بلادهم صافية لهم كان يتصدّى لهم العلماء والفقهاء كما حدث مع السلطان العثماني سليم الأول حيث تصدّى له شيخ الإسلام قائلاً: "ليس لك على النصارى واليهود، وليس لك أن تزعجهم عن أوطانهم".

ومثلما تقوم الدولة في الإسلام على أساس حرية الاعتقاد فإنها تقوم على تكريم الإنسان لكونه إنسان، بصرْف النظر عن دينه ولونه. و تبين صحيفة المدينة أن العلاقة بين أبناء الوطن الواحد تقوم على البر والتناصح والاشتراك في الدفاع عن الوطن. وقد مارس رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من بعده ذلك كله، فعاش أبناء الأمة على اختلاف أديانهم وألوانهم متعاونين متحابين قامت بينهم علاقات انسانية واجتماعية وثقافية ومعاملات اقتصادية. ومن مظاهر ذلك أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من أهل الكتاب، كان يتعهّدهم بالبرّ وحسن الجوار، ويتبادل معهم الهدايا، حيث كان عليه السلام يتقبّل هدايا جيرانه من أهل الكتاب، حتى لقد دست له امرأة يهودية السم في ذراع

شاة أهدتها له عليه السلام. ومن ذلك أيضاً أنه لما قدم وفد من نصارى الحبشة إلى المدينة المنورة أنزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده. كما كان يقوم بنفسه على خدمتهم ورعايتهم قائلاً أنهم كانوا لأصحابنا مكرمين فأحب أن أكرمهم بنفسي. وكان عليه السلام يحضُر ولائم أهل الكتاب ويشاركهم مناسباتهم الاجتماعية ويشدّ من أزرهم في مصائبهم ويشاركهم مجالسهم وقامت بينه وبينهم معاملات تجارية واقتصادية بما في ذلك القرض، والرهن.

وظل المسلمون يشاركون أبناء الديانات الأخرى من شركائهم في الوطن بكل أعيادهم الدينية، ومناسباتهم الاجتماعية، ففي العهد الأموي كانت للمسيحيين احتفالاتهم العامة في الشوارع، تتقدمها الصلبان، ورجال الدين بألبستهم الكهنوتية، ويروى أن البطريرك ميخائيل دخل الاسكندرية في موكب ضخم، وبين يديه الشموع والصلبان والأناجيل. وكان ذلك في عهد هشام بن عبدالملك. أما في عهد هارون الرشيد فقد كان المسيحيون يوم عيد الفصح يخرجون في موكب كبير وبين أيديهم الصليب. ويذكر المؤرخون أن أسواق شيراز كانت تتزين في أعياد المسيحيين. وكانت احتفالات المصريين ببدء زيادة النيل تتزامن مع عيد زيارة الصليب. أما في عهد الإخشيديين فكانوا يقيمون في عيد الغطاس احتفالاً كبيراً، حتى أن السلطان الإخشيدي محمد بن طغج كان يجلس في قصره، وقد أسرج حوله ألف قنديل، وكان الناس من المسلمين والمسيحيين يوقدون المشاعل والقناديل والشموع، وكانت القوارب تحمل الجموع من المسلمين والمسيحيين يلبسون أحسن ما عندهم من ثياب، ويحملون ألوان الطعام والشراب، في أواني من الذهب والفضة احتفالاً بهذا العيد. أما الخليفة العباسي المنتصر بالله فقد أمر في القرن الخامس للهجرة ببناء معبد عزرا لليهود في الفسطاط بالقرب من القاهرة. وقد تحوّل هذا المعبد فيما بعد إلى ضريح ومزار يقام له مولد في أول أيلول من كل عام يقصده المسلمون والمسيحيون واليهود. وهذا كله غيض من فيض العلاقات الاجتماعية والانسانية التي قامت بين أتباع الديانات في ظلّ الدولة الإسلامية التي تقوم على المواطنة والتعددية.

كما شارك غير المسلمين مع المسلمين في الدفاع عن الوطن، لمن رغب منهم في هذه المشاركة. فوضعت عنهم الجزية التي هي في جوهرها بدل الخدمة العسكرية. لذلك كانت تسقط عن الشيخ والمرأة والطفل، وعن العاجز عن حمل السلاح، وعمن يرغب في القتال إلى جانب المسلمين، كما كانت تُرد إلى المدن التي لا يستطيع المسلمون الدفاع عنها. وقد أجاز الإمام الشافعي اشتراك غير المسلمين في الجيش الإسلامي، مستنداً إلى أن الرسول عليه السلام استعان في غزوة خيبر بعدد من يهود بني قنيقاع، كما استعان في غزوة حنين بمشرك هو صفوان بن أمية. وذكر البلاذري أن أبا زيد الطائي وهو مسيحي حارب إلى جانب المسلمين في واقعة الجسر. وفي عهد الخليفة المعتضد أوكل إلى مسيحي يدعى اسرائيل أمر تنظيم الجيش، وفي أيام المقتدر تولى ديوان الجيش مسيحي وهذه كلها شواهد تؤكد شراكة أبناء الوطن في الدفاع عنه.

كما تولى غير المسلمين أرفع المناصب في الدولة الإسلامية، بما في ذلك الوزارات الحسّاسة مثل وزارة المالية بل لقد وصل بعض غير المسلمين في الدولة الإسلامية إلى مواقع أثارت غيرة المسلمين.

وقد لاحظ آدم ميتز ضخامة عدد الولاة والعمال والموظفين في الدولة الإسلامية في عصورها المبكّرة فقال: "كأن النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد الإسلام". ومن ذلك أن الإدارة المالية في الدولة الأموية أسندت لأسرة مسيحية، ظل أبناؤها يتوارثون الوظائف المالية لعقود. كما أسندت جباية خراج مصر إلى إبن آثال وهو مسيحي.

وكان المسيحيون يتولون تأديب بعض الأمراء فقد عهد عبدالملك بن مروان إلى مسيحي هو أثناسيوس بتأديب أخيه عبدالعزيز. وقد رافقه إلى مصر عندما صار عبدالعزيز والياً لمصر، حيث جمع أثناسيوس هناك ثروة طائلة من بينها: أربعة آلاف من العبيد والكثير من القصور والبساتين وقيل أن الذهب والفضة كانت عنده كأنها الحصى، وكان أولاده يأخذون من كل جندي عند استلام راتبه ديناراً، وقد بلغ مرتبة الرئاسة في دواوين الاسكندرية ولقب بالمخاطبات الرسمية بـ "الكاتب الأفخم". وعندما تولى

عبدالعزيز الخلافة صار أثناسيوس متولياً للخراج.

أما في عهد الخليفة المعتصم فقد كان من أقرب الناس إليه وزيره المسيحي سلمويه، وقد كانت الوثائق الرسمية الصادرة عن الخليفة لا تأخذ صفة التنفيذ إلا بعد توقيع سلمويه عليها، في حين عهد بحفظ خاتم الخليفة إلى شقيق سلمويه، بالإضافة إلى خزانة بيوت المال. وفي عهد المعتضد كان والي الأنبار عمر بن يوسف مسيحياً.

كما شغل ابراهيم بن هلال الصابئي أعلى المناصب في العهد العباسي، ولمّا مات رثاه الشريف الرضيّ شيخ الهاشميين العلويين.

وفي عهد الخليفة الفاطمي الظاهر كان الوزير أبونصر صدقة بن يوسف الفلاحي يهوديا ،وكان يدير الدولة معه يهودياً آخر هو أبوسعد التستري. أما الخليفة الفاطمي العزيز بالله الذي كان متزوجاً من مسيحية فقد صار المسيحيون في عهده هم أصحاب النفوذ في بلاطه، وقد عيّن شقيقي زوجته مطرانين أحدهما للقدس والآخر لمصر. وقد استوزر هذا الخليفة عيسى بن نسطورس النصراني، وأناب عنه بالشام منشا اليهودي. أما في الأندلس فقد كان الأمر لا يقلّ عنه في الشرق في اشتراك غير المسلمين بإدارة الدولة باعتبارهم مواطنين وشركاء في الوطن. وهذا كله غيض من فيض يؤكد أن الإسلام يجعل كل أبناء الوطن شركاء في حمايته، وإدارته بصرف النظر عن دينهم. وهو ما دفع مسيحي منصف هو ادمون رباط في كتابه المعنون "المسيحيون في الشرق قبل الإسلام" إلى القول: "إنه للمرة الأولى في التاريخ انطلقت دولة هي دينية في مبدئها ودينية في سبب وجودها ودينية في هدفها ألا وهو نشر الإسلام عن طريق الجهاد بأشكاله المختلفة من عسكرية وتبشيرية إلى الإقرار في الوقت ذاته بأن من حق الشعوب الخاضعة لسلطانها ان تحافظ على معتقداتها وتقاليدها وطراز حياتها. وذلك في زمن كان يقضي المبدأ السائد بإكراه الرعايا على اعتناق دين ملوكهم بل وحتى على الانتماء إلى الشكل الخاص الذي يرتديه هذا الدين".

صحيح أن بعض أتباع الديانات الأخرى من مواطني الدولة الإسلامية

استغلّوا الحرية التي مُنحت لهم، و المكانة التي احتلّوها في الدولة الإسلامية فسعوا لإضعافها بل إن منهم من تآمر مع أعدائها، لكن ذلك عيبٌ فيهم لا في الإسلام، وصحيحٌ أيضاً أنه لحق ظلماً بأتباع الديانات الأخرى في بعض الفترات التي عاشتها الأمة الإسلامية، لكنه كان ظلماً أصاب الجميع مسلمين وغير مسلمين وهو ظلمٌ يتنافى مع قيَم الإسلام وروحه.

لقد استلهم القادة المؤسسون لحركة المقاومة الإسلامية هذه الروح الإسلامية، وعملوا على إحيائها، وترسيخها، والوقائع والأحداث التي تبيّن حرص الإمام الشهيد حسن البنا على التعاون مع أقباط مصر كثيرة. أما في لبنان فإن الشواهد والأدلة على طبيعة نظرة الأخوة والتعاون والشراكة في الوطن التي ينظر من خلالها المسلمون وخاصة المقاومة الإسلامية إلى شركاء الوطن من المسيحيين فهي أيضاً كثيرة. ومن المهم فهم تصرف حزب الله بعد التحرير عام ٢٠٠٠ بتسليم المتعاونين مع الاحتلال إلى القضاء اللبناني. ومنع أي احتكاك بين الناس على أنه جزء من حرص المقاومة الإسلامية على بناء المشروع الوطني في لبنان. وأنه لا خوف على أحد عندما ينتصر الإسلاميون الذين يتردد في أسماعهم حكم رسولهم عليه السلام يوم فتح مكة عندما قال لمن آذوه وأخرجوه وحاربوه "إذهبوا فأنتم الطلقاء". ولعلّ وثيقة التفاهم بين حزب الله والتيار الوطني الحر بزعامة الجنرال ميشيل عون، شكلت تتويجاً لنظرة المشاركة في المشروع الوطني الذي تؤمن بها المقاومة الإسلامية، التي صارت العمود الفقري للمعارضة اللبنانية المشكّلة من كل ألوان الطيف اللبناني شيعية، وسنية ودرزية ومارونية وأرثوذكسية وأرمنية.. الخ، والتي تعبر عن مواقف ورغبات واحتياجات جلّ اللبنانيين، على اختلاف أديانهم، وطوائفهم، ومذاهبهم، مما يؤكد أنه لا إشكالية في العلاقة عند الإسلاميين بين المقاومة والمشروع الوطني في لبنان ولا في غير لبنان. ذلك أن المقاومة الإسلامية تحتكم إلى قواعد ثابتة من نصوص القرآن والسنة والممارسة التاريخية. وكلها تؤكد أن الإسلام مع المشروع الوطني القائم على التعدد الديني والعرقي. وأن أساس المواطنة هي الاشتراك في أرض الوطن. وأن

فقدان هذه المشاركة في الوطن تفقد المسلم حقّ المواطنة في الدولة الإسلامية. وإن كانت لا تفقده حقه في النصرة لقوله تعالى: "إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين إووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض. والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلاّ على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعلمون بصير". ونلاحظ من هذه الآية أن القرآن الكريم قدّم الوفاء بالعهد على نصرة المسلم. كما جعل الشراكة في الوطن أساس المواطنة.

ومن هذا الفهم لأهمية مشاركة كل أبناء الوطن في الدفاع عنه، مهما تباينت أديانهم ومعتقداتهم، أسس الإمام موسى الصدر "هيئة نصرة الجنوب". والتي ضمّت رؤساء الطوائف الروحية في الجنوب ساعياً إلى توسيع قاعدة المشاركين في الدفاع عن الجنوب، كما دعا سماحته عند إطلاقه لحركة المقاومة عام ١٩٧٥ إلى عدم الانجرار إلى معركة داخلية، وإلى عدم إغلاق باب المقاومة أمام أحد من المسيحيين الشرفاء. وهذه كلها شواهد تؤكد انتفاء وجود إشكالية عند الإسلاميين في العلاقة بين المقاومة والمشروع الوطني، فالدفاع عن الوطن ليست مسؤولية فئة دون أخرى، ولكنها تقع على الجميع، وإنما يتمايز الناس بحجم مشاركتهم في إداء واجب الدفاع عن الوطن.

إن سعي القادة المؤسسين للمقاومة الإسلامية لتوحيد المجتمع، هو الذي جعل الإسلاميين في الماضي والحاضر جزءاً من مشاريع النهوض الوطني على صعيد أقطارهم، رابطين مشاريع النهوض الوطني بمشروع نهوض الأمة. كما دفعهم ذلك إلى التركيز على مفهوم المواطنة والمشاركة في الوطن، على أساس المساواة والإحساس بالأمن والأمان اللذين هما من أهم عوامل ربط المرء بوطنه، كما بين ذلك الإمام علي عليه السلام بقوله "لاخير في الوطن إلا مع الأمن والمسرة".

بالإضافة إلى صفة الوحدة التي سعى القادة المؤسسون للمقاومة الإسلامية إلى توفيرها في المجتمع المقاوم، الذي يشكّل نواة المشروع الوطني،

التي تكون فيه العلاقة بين المواطن والوطن علاقة تفاعلية قائمة على الولاء والانتماء اللذان، لا يتحققان إلا إذا كان هناك إحساس بالعدل والمساواة، وبتكافؤ الفرص، وفي الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وحفظ كرامة المواطن. سعوا أيضاً إلى تنمية إرادة التحدي والصمود لدى الأفراد والمؤسسات. وبهذه الإرادة لا تعترف المقاومة باختلال موازين القوى مع العدو. فالحرب الشعبية التي هي جوهر المقاومة، هي وسيلة الأمة للتعويض عن الفرق الهائل بين امكانياتها المادية والتكنولوجية، وإمكانيات العدو المتفوّقة مادياً وتكنولوجياً. كما أنها تعويض لأبناء الأمة عن ضعف حكوماتهم وهزائم هذه الحكومات أمام العدو. وهي الدليل العملي على قدرة الأمة على الصمود وإسقاط مشاريع عدوها. كما حدث في لبنان. ويحدث في العراق وفلسطين. ولذلك لم يكن مستغرباً أن يتم تحرير أجزاء العالم الإسلامي المختلفة عبر المقاومة الشعبية، وليس من خلال الجيوش النظامية. وإذا كانت المواثيق الدولية قد أقرت بحق الشعوب في المقاومة لتحرير أوطانها والنيل من حريتها، فإن الإسلام جعل الدفاع عن الوطن خاصة إذا تعرض للعدوان فرض عين على كل مسلم ومسلمة بإجماع الفقهاء. وعلى ضوء إقرار المواثيق الدولية لحق الشعوب في المقاومة وعلى ضوء حث الإسلام للمسلمين على الجهاد "من لم يغزو أو يحدث نفسه بالغزو فقد مات على شعبة من النفاق" و "من جهز غازياً فقد غزا". يصبح التسلح والتدريب على القتال وتمويل المقاتلين ليس حقاً شعبياً فحسب بل واجباً شرعياً يأثم من لا يؤديه خاصة في ظلّ احتلال أولى القبلتين وثالث الحرمين وأجزاء كبيرة من بلاد الأمة.

إن النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، والأحكام الفقهية، ووقائع التاريخ الإسلامي، تؤكد بأن المقاومة مكون رئيس من مكونات الأمة الإسلامية. باعتبارها الأمة المكلّفة بالتبليغ، ونشر دين الله، والشهادة على الناس، وحتى يتمكن أبناء الأمة من الصدع بتكليف أمر التبليغ فرض عليهم الجهاد. وهذا يعني أن على كل فرد من أفراد الأمة إعداد نفسه للمساهمة في الجهاد لقوله عليه السلام "من مات ولم يَغْزُ أو يحدث نفسه

بغزو مات على شعبة من النفاق". وإذا كان جهاد الطلب في الإسلام فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الكل، فإن جهاد الدفع فرض عين على كل مسلم ومسلمة إنفاذاً للقاعدة الشرعية "إذا ديس شبر من أرض المسلمين بات الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة يخرج الإبن دون إذن أبيه وتخرج المرأة من دون إذن وليّها أو زوجها". وهذه القاعدة الفقهية تعني أول ما تعني أن مقاومة المحتل فريضة شرعية على كل مسلم ومسلمة. يأثم من لا يؤدّيها ويساهم فيها بالمال والنفس، وبكل ما يعين على أدائها لدحر العدو، وتحرير الوطن وأداء فرائض الشرع تحتاج إلى أركان ومستلزمات، أولها النية وثانيها الأخذ بالأسباب، وأول الأسباب التي يقوم بها الجهاد هي الاستعداد والتدريب على كلّ أشكال المقاومة، بما فيها حرب العصابات التي مارسها المسلمون مبكّراً عندما شكّل أبو بصير أول مجموعة فدائية، صارت تَغير على مصالح قريش التي منعته من الالتحاق بالمسلمين في المدينة بعد صلح الحديبية، ولما اشتدت ضربات أبو بصير وإخوانه لقريش ومصالحها، طلبت قريش من رسول الله عليه السلام قبولهم في المدينة، متنازلةً عن شرط من شروط الصلح، وهكذا حقّقت المقاومة هدفها بالنسبة لأبي بصير ومن لحق به.

إنّ الأصل في المسلم أن يكون مدرباً قادراً على القتال لأن الجهاد في الإسلام تكليفٌ فرديُ، وعملٌ شعبيٌّ، تقع مسؤوليته على كل مسلم ومسلمة. وإذا كان التدريب على القتال فرض على كل مسلم ومسلمة، فإن دعم المقاتلين وخاصة في حالة جهاد الدفع هو الآخر فريضة على كل مسلم ومسلمة "من جهز غازياً فقد غزا". ومن هنا نرى أن المقاومة تكليف شرعي للفرد المسلم وللأمة مجتمعة حتى تتمكن من القيام بأمانة التبليغ. فكيف إذا كانت هذه المقاومة في سبيل دفع العدوان عن الأمة وحماية وجودها وحدودها. وتحرير أرضها ومقدّساتها ومسرى رسولها؟!

كما سعى القادة المؤسسون إلى بناء المجتمع المقاوم على أساس التكافل والرعاية. لذلك ربط الإمام موسى الصدر بين المقاومة والتنمية. وبادر إلى إقامة المؤسسات التعليمية والمهنية والثقافية والتربوية والجمعيات

الخيرية والمدارس وصولاً إلى تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى. فالأصل في المجتمع المقاوم ان يكون مجتمعاً منظماً منتجاً متكافلاً. لأنّه يشكّل نواة للمشروع الوطني، ولصورته عندما تنجز المقاومة أهدافها ولا غرابة في أن تواصل المقاومة الإسلامية بناء المجتمع المدني المتكامل، من روابط واتحادات وجمعيات لتسهم كلها في حشد الطاقات وتوظيفها لخدمة مشروع المقاومة الذي هو في النهاية مشروع الوطن لأن هدف المقاومة هو تحرير الوطن واستعادة حقوقه المغتصبة وتحقيق العدل لمواطنيه. وفي هذا الإطار نفهم قيام مؤسسة الشهيد لحفظ كرامة أسر الشهداء والأسرى، وتعليمهم وتقديم الرعاية المادية والمعنوية لهم. وكذلك الحال بالنسبة للهيئة الصحية التي تتولى توفير الدواء ونشر الوعي الصحي، وتحصين مجتمع المقاومة صحياً. كما هو الحال مع مؤسسة الجرحى التي قامت لترعى الجرحى والمعاقين وأسرهم. وأخيراً وليس آخراً مؤسسة جهاد البناء، التي تتولى ترميم البيوت والمنشآت التي تتعرض للعدوان. وهذه المكونات تؤكد أن المقاومة الإسلامية ليست ميليشيا مسلّحة بل هي مشروع حضاري لبناء وطن حرّ يعيش فيه الناس أحراراً كرماء وهؤلاء الأحرار الكرماء هم الذين يشكّلون مجتمع المقاومة، الذي يتولّى احتضانها، وتوفير المناخ المناسب لعملها وحمايتها، وخاصةً على الصعيد الاستخباري. وغياب هذه الحاضنة يجعل المقاومة في خطر شديد فالعلاقة بين المقاومة والمجتمع المقاوم علاقة تبادلية، فكما أن بناء المجتمع المقاوم يكون في كثير من الأحيان مقدمة لانطلاق المقاومة، كما عبر عن ذلك العلاّمة السيد محمد حسين فضل الله عندما قال: "إننا يمكن أن نأتي بالتغيير في لبنان بتعليم الشعب وتنويره داخل المؤسسات الاجتماعية" فإن المقاومة هي التي ترسخ بنيان المجتمع المقاوم وتحميه، حتى يتبلور كمشروع وطن وأمة. فالمقاومة دافع لتحقيق الاكتفاء الذاتي، والسعي لتطوير القدرات العلمية والتصنيعية محلياً، ولعل في تجربة تطوير صواريخ حزب الله، وصواريخ القسام خير دليل على ذلك. وبهذا تؤسس المقاومة لقاعدة تصنيعية في مشروعها الوطني. كما أن المقاومة تحيي في الأمة روح الإيثار والتضامن

والزهد والتقشف. وتوحد مشاعر أبناء الوطن الواحد، والأمة الواحدة، وتنسيهم تناقضاتهم وخلافاتهم الداخلية، لحساب تناقضهم مع عدوهم الخارجي. وخير دليل على ذلك تجربة المقاومة الإسلامية في لبنان. وخاصة أثناء معاركها الكبرى وآخرها عدوان تموز ٢٠٠٦ حيث تحول لبنان الشعبي إلى كتلة واحدة متراصّة خلف مقاومته، وأمام هذا التلاحم الشعبي لأبناء لبنان اضطر حتى السياسيون الذي يضمرون العداء للمقاومة إلى الصمت، بل لقد ذهب بعضهم إلى مملاءة الجماهير من خلال إعلانه الوقوف إلى جانب المقاومة أثناء العدوان. ولم يقتصر الأمر على لبنان بل امتد ليشمل جغرافيا الأمة كلها، حيث تسمّر الملايين من أبناء الأمة أمام شاشاتنا الفضائية، وخاصة شاشة قناة المنار، والشاشات المتعاطفة مع المقاومة لمتابعة أخبار المقاومة، وخرجت المسيرات الحاشدة دعماً للمقاومة، ودعوة لمناصرتها، رافعةً صور قائد المقاومة في كل مدن وقرى الأمة. في ممارسة تعبّر عن وحدة موقف الجماهير الناجمة، عن وحدة المشاعر ووحدة الهدف. وفي يقيني لو أن المقاومة الإسلامية في لبنان فتحت باب التطوع. لاندفع آلاف الشباب إلى صفوفها من مختلف بقاع أرض الأمة ليؤكدوا أن المقاومة هي مشروع كل أبناء الأمة. وهو ما أكدته المقاومة الإسلامية في لبنان ممثّلة في حزب الله منذ انطلاقتها الأولى فقد جاء في الرسالة المفتوحة التي وجهها الحزب عام ١٩٨٥ إلى المستضعفين "إننا ننتهز الفرصة لنوجّه نداءً حاراً، إلى جميع أبناء المسلمين في العالم، ندعوهم من خلاله إلى مشاركة إخوانهم في لبنان، بشرف القتال ضد الصهاينة المحتلّين، إما مباشرة، أو من خلال دعم المجاهدين ومساعدتهم.. ذلك أن مقاتلة إسرائيل هي مسؤولية كل المسلمين، في الأقطار والمناطق كافة، وليست مسؤولية أبناء جبل عامل والبقاع الغربي وحدهم".

ومثلما توحد المقاومة مشاعر الأمة، فإنها تغير المفاهيم والمصطلحات والقناعات وتوحّدها عند أبناء الوطن والأمة. ومن بينها مفهوم الوطن والمواطنة، واستبدال مفهوم الجيش الذي لا يُقهر كما كان يُشاع عن جيش العدو. إلى مفهوم بيت العنكبوت الذي أطلقه قائد المقاومة. كما رسخ

انتصار المقاومة عام ٢٠٠٦ القناعة لدى أبناء الأمة بقدرتها على الانتصار. وهكذا فإن المقاومة تؤسس لمضامين ثقافية وقناعات فكرية ووجدانية جديدة لدى أبناء الأمة. حيث تحلّ ثقافة المقاومة و العزة والكرامة محل ثقافة الاستسلام والخنوع والذلة. وبهذا التوحيد للمفاهيم والمصطلحات والقناعات تؤسس المقاومة لوحدة الوطن الثقافية.

ومثلما أن المقاومة تصحّح المفاهيم والقناعات في النفوس والعقول فإنها تقلب الحقائق على الأرض. فقد استطاعت المقاومة الإسلامية ممثلة بحزب الله أن تقلب وهم اسرائيل التي لا تُغلب إلى اسرائيل المهزومة على الأرض. والتي تتراجع عن تحقيق أهدافها. والتي ينزح سكانها. وينهار جنودها. ويتمّ اختراق منظومتها الاستخبارية. والتي يتم التفوق عليها إعلامياً. وتنكشف عيوبها فتظهر ككيان أقرب ما يكون إلى جمهوريات الموز، يفتك الفساد في كل مكوناتها، وتسيطر عليها الجريمة المنظمة. وتظهر كياناً مأزوما على الصعد الاقتصادية والاجتماعية.

ومن الحقائق التي أحدثتها المقاومة على الأرض منعها قيام مشروع الشرق الأوسط الجديد وفق المقاييس الأمريكية والصهيونية. وهذه كله تؤكد أن المقاومة هي مشروع أمة أعاد الصراع في المنطقة إلى مربعه الأول صراعاً حضاريا وأجبرت أعداء الأمة على إسقاط كل أقنعتهم. وكشف كل عملائهم وخلاياهم النائمة التي هبّت مسعورة تحاول نهش المقاومة والنيل منها.

لقد أسفر انتصار المقاومة الإسلامية في عدوان تموز ٢٠٠٦ عن سلسلة من الحقائق، التي تؤكد أن المقاومة هي في النهاية مشروع وطني في إطار مشروع الأمة كلها. لأن المقاومة انتصرت على عدو الأمة وعلى محتل أرضها ومغتصِب مقدّساتها. ولأن العدوان كان يستهدف المقاومة لإعادة ترتيب أوضاع جغرافيا الأمة كلها (١).

١- راجع الصفحات من ٥١-٥٣

على انه من أهم الحقائق التي أسفر عنها عدوان تموز عام ٢٠٠٦ حجم الالتفاف الشعبي اللبناني والعربي والإسلامي حول المقاومة مما يؤكد أنها مشروع وطن وأمة لا مشروع طائفة أو مذهب.

ولقد شقت انتصارات المقاومة الإسلامية ممثلة بحزب الله للأمة طريقاً طويلاً على الأمة أن تواصله عبر تدريب وتسليح كل فرد فيها. ففي ظل اختلال موازين القوى بين الجيوش النظامية في المنطقة لصالح العدو الاسرائيلي والأمريكي لم يعد أمام الأمة إلا المقاومة الشعبية. التي هي مشروع الأمة ومستقبلها وطريقها للتحرير وهذا يقتضي نشر ثقافة المقاومة التي هي في جوهرها ثقافة وحدة لتحصين أبناء الأمة. وتزويدهم بعوامل الصمود والتحدي وقبلها المناعة الأخلاقية والاجتماعية. ومن المهم تقوية كل حلقات الأمة حتى لا نؤتى من حيث لا نحتسب. ولذلك لا بد من بناء حاضنة شعبية للمقاومة على امتداد جغرافيا الأمة. وعلينا أن نتذكر دائماً أن الخطر الحقيقي بالنسبة لحركات المقاومة هو اسرائيل. ومثلما أن رفع سوية الناس في لبنان وفلسطين ومنطقة القنال أدى إلى بروز المقاومة المسلحة، فإن رفع سوية أبناء الأمة كلها هو الذي سيجعلها حاضنة للمقاومة التي ستؤدي إلى حالة النهوض الحضاري على مستوى الأمة. وتنتقل حركات المقاومة الحالية من بعدها الوطني إلى مشروع الأمة كلها.

إن من حقائق الاجتماع البشري أن التحولات الكبرى في التاريخ لم تنطلق بشكل جماعي. بل ابتدائها أفراداً، وفي أحسن الأحوال مجموعة من الأفراد. فالرسالات السماوية التي أحدثت انقلابات جذرية في مفاهيم وعلاقات وحركة المجتمع صدع بكل واحدة منها شخص أعده الخالق على عينه، وجعل فيه مواصفات وخصائص تعينه على حمل رسالة السماء. وفي أغالب الأحوال كان رسل الله عليهم الصلاة والسلام يبدؤون دعوتهم بالاتصالات الفردية. ولعل أوضح نموذج لهذا الذي نقوله يتمثل بما وقع لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام، الذي بعث وحيداً في غار حراء، ثم أخذ يمارس دعوته بالاتصال السري

بالأفراد، حتى لم يصل عدد الذين آمنوا به خلال ثلاثة عشر عاماً سبقت هجرته إلى المدينة المنورة إلى أكثر من بضعة وثمانين رجلاً رغم أنه عليه السلام كان يعلم علم اليقين أنه يحمل مشروعاً عالمياً للإنسانية كلها. مما يؤشر بوضوح كامل إلى أن المشاريع الكبرى كمشروع المقاومة الذي يبدؤه في العادة بضعة أفراد تبدأ بداية صغيرة ثم تكبر بالممارسة والإصرار على تحقيق الهدف وتوسيع الدوائر حيث لا تناقض بين الدوائر في فعل الحركات الكبرى وقياساً على ذلك نقول أنه لا تناقض بين الانتماء للأمة والوطن وقبلهما الانتماء للأسرة والعشيرة والطائفة فكلها دوائر تشكل في مجموعها الإطار الكبير الذي نسميه الأمة. ولهذا فليس في ضمير المسلم ووجدانه وعقيدته تناقض بين هذه المكونات بل توازناً في واجباته نحو كل منهم. ولأن المسلمين يجب أن يحكمهم الضمير المسلم فلا يجوز أن يكون لديهم تناقض ولا إشكالية في العلاقة بين المقاومة و المشروع الوطني. فكما أن الجهاد فرض على المسلم فإن حب الوطن عند المسلم من الإيمان. مستذكرين قول الإمام علي عليه السلام "عمرت البلدان بحب الأوطان" بل لقد جعل الإمام عليه السلام التعلق بالوطن من علامات كرم المرء فقال: "من كرم المرء بكاؤه على ما مضى من زمانه وحنينه إلى أوطانه" فهل نقول بعد ذلك أن هنالك إشكالية عند الإسلاميين في العلاقة بين المقاومة والمشروع الوطني؟ أم ان المقاومة هي مشروع الوطن الذي يتحول على ايدي الاسلاميين الى مشروع الامة؟

المراجع:

١. القرآن الكريم

٢. وثائق بنك المعلومات لدى المركز الأردني للدراسات والمعلومات.

٣. سقوط الوهم "تأملات في انتصارات حزب الله" لبلال حسن التل من منشورات المركز الأردني للدراسات والمعلومات ٢٠٠٦.

٤. وثيقة المدينة المضمون والدلالة لأحمد قائد الشعيبي من سلسلة كتاب الأمة.

٥. مواطنون لا ذميون لفهمي هويدي من منشورات دار الشروق.

٦. مسيرة الإمام الصدر يوميات ووثائق ٦٠-٦٨ إعداد يعقوب ظاهر.

٧. حزب الله المنهج... التجربة... المستقبل للشيخ نعيم قاسم من منشورات دار الهادي.

٨. الانتصار المقاوم هوية الانتصار وتداعياته الاستراتيجية قراءات في العدوان الاسرائيلي على لبنان تموز ٢٠٠٦ من منشروات المركز الإسلامي للدراسات الفكرية.

٩. ندوة المشروع الوطني والنهوض المقاوم عند الإمام موسى الصدر منشورات دار المعارف الحكمية.

١٠. حسن نصر الله ثائر من الجنوب لرفعت سيد أحمد/ من منشورات دار الكتاب العربي.

١١. مشروع المقاومة في فكر الإمام الصدر وتجربته ١٩٦٠-١٩٨٧ بحث مقدم إلى مؤتمر كلمة سواء السنوي الرابع ـ الهوية الثقافية.

١٢. الأقليات الغير مسلمة في الخطاب الإسلامي المصري للدكتور هشام الحمامي ورقة عمل مقدمة لمؤتمر نحو خطاب إسلامي ديمقراطي مدني.

١٣. المواطنة في التاريخ الإسلامي تراث الماضي ومستجدات الحاضر مقال لأحمد طه شوربجي.

١٤. المقاومة المسلحة في فكر وسلوك الشيخ الشهيد أحمد ياسين

للدكتور عاطف ابراهيم عدوان / موقع كتائب القسام.

١٥. دفع مقاومة المقاومة للدكتور عمار جيدل/ موقع الشهاب الثقافي.

١٦. تجربة حزب الله تستنهض إمكانات الشعوب للدكتور أحمد عبدالله/ موقع إسلام أون لاين.

١٧. حزب الله رؤية مغايرة/ موقع آل البيت.

١٨. مقاومة حزب الله في لبنان من عمل تحرري إلى بناء ثقافة بديلة شاملة/ موقع الحزب القومي التقدمي.

١٩. عناصر نجاح الأحزاب الإسلامية. حزب الله في لبنان نموذجاً لمحمد اليعقوبي/ موقع منتديات العراق الثقافي.

٢٠. الأسباب العشرة وراء قوة حزب الله/ حازم صاغية الاتحاد الاماراتية.

٢١. في معنى المقاومة عبد المنعم سعيد/ جريدة الشرق الأوسط.

انتصار المقاومة
يؤسس لولادة شرق جديد

يمكن (١) القول بسهولة أن انتصار المقاومة الإسلامية ممثلة بحزب الله، على العدوان الامريكي الاسرائيلي المدعوم بتواطؤ عربي ودولي على لبنان في تموز عام ٢٠٠٦. قد أسس لولادة شرق جديد. بمواصفات غير تلك المواصفات التي وضعتها الإدارة الامريكية وحلفاؤها للشرق الأوسط الجديد الذي كانوا يعتزمون استيلاده من رحم العدوان على لبنان كما أعلنت ذلك صراحة وزيرة الخارجية الامريكية والتي اعتبرت عدوان تموز ولادة عسيرة للشرق الأوسط الجديد مما يعتبر دليلا يضاف إلى مجموعة الأدلة القاطعة على أن اسر حزب الله للجنديين الإسرائيليين لم يكن سببا لعدوان تموز الذي تبين فيما بعد بأن العدو كان يعد له منذ سنوات ولذلك فقد استثمر عملية الأسر لتنفيذ عدوانه الذي كان يستهدف من ورائه القضاء على المقاومة ليكون الشرق الاوسط الجديد خاليا من أي قوى رافضة للهيمنة الامريكية والتفوق الاسرائيلي ولم يكن بحسبان الذين خططوا لهذه الحرب او ناصروها أن تجري الرياح بما لا تشتهي سفنهم فقد انتهت الحرب بهزيمتهم وانكسار مشروعهم وبانتصار مدو للمقاومة حولها إلى رقم صعب في معادلات المنطقة وصياغة صورة الشرق الاوسط الجديد وهي صورة ستكون بالتأكيد مختلفة عن الصورة التي ارادها وسعى اليها ومايزال الأميركيون وحلفاؤهم فإذا كان الامر يكيون يريدون لهذا الشرق أن يكون ممزقا مجزءاً فإن المقاومة تريده موحدا متحدا وهي قادرة على أن تكون دافعة أساسية من روافع هذه الوحدة التي تتوفر أسباب قيامها في هذه الأيام اكثر من أية فترة مضت، ذلك أن هذا العصر يمتاز بأنه عصر التكتلات الكبرى حيث تسعى الكتل البشرية إلى بناء تحالفات اقتصادية وسياسية بينها تمكنها من إيجاد موطئ قدم لها على خارطة هذا

راجع عدد جريدة «اللواء» الاردنية الصادر بتاريخ ٢٠٠٨/٧/١٥

العالم الذي لم يعد فيه مكان إلا للأقوياء وهو الأمر الذي يفرض علينا في هذه المنطقة من العالم الأخذ بأدوات العصر وأهمها أداة التكتل الذي تتوفر كل مقومات قيامه في هذه المنطقة التي تشكل في جوهرها ورغم كل العوارض التي تطفى على سطحها بين فترة وأخرى وحدة واحدة ، فهذا الشرق يشكل كتلة واحدة تربطها مجموعة من العرى التي لا انفكاك لها، أولها وحدة الجغرافيا، فليس بين مكونات جغرافيا هذا الشرق عربية كانت أم تركية أم إيرانية حواجز جغرافية ضخمه تجعل من التواصل بين سكانه أمرا صعبا، فلا محيطات عملاقة ولا بحار كبرى تفصل بين هؤلاء السكان، كذلك الامر بالنسبة للمكونات البرية الملاصقة ،بل والمتداخلة بين مكونات الشرق الثلاثة- العرب والاتراك والإيرانيين-، وهذه الوحدة الجغرافية أعطت هذا الشرق وحدة مناخية وكلاهما - الجغرافيا والمناخ- أعطيا سكان هذا الشرق وحدة في المزاج والطباع ، حيث يؤكد العلماء من أهل الاختصاص أن للمناخ مثلما للجغرافيا تأثيرا كبيرا على طبائع البشر وأمزجتهم ، مثلما أن تقارب الطباع والمزاج من عوامل التقارب البشري .

فإذا أضفنا إلى الجغرافيا والمناخ التاريخ المشترك والمتداخل أيضا لسكان هذا الشرق عربهم وتركهم وفرسهم اكتشفنا عاملا آخر مهما من عوامل التقارب والتعاون بين هذه الاعراق الثلاثة ، فإذا توجنا هذه العوامل المجتمعة من عوامل التقارب بعامل آخر وهو الدين الذي يجمع الاغلبية الساحقة من أبناء هذه الأعراق ، حيث تدين هذه الاغلبية بالإسلام اكتشفنا أن عوامل تقاربها وتعاونها ارسخ بكثير من عوامل اختلافها وتصادمها لذلك صار من الضروري على عقلائها ، وصناع القرار فيها - الاعراق الثلاثة المتجاورة - في الجغرافيا والمشتركة في المناخ والمزاج والطباع والتاريخ ، و المتحدة في الدين صار من الضروري على هؤلاء العقلاء أن يعملوا على إيجاد صيغة من صيغ التكافل والتعاون فيما بينها على غرار ما فعل الأوروبيون على سبيل

المثال ، ذلك أن الاوروبيين على تعدد أعراقهم وعلى ما بينهم من حواجز جغرافية وعلى ما بينهم من بحار الدم التي سالت في الحروب الكثيرة التي نشبت بينهم، وعلى تعدد لغاتهم سعوا إلى إقامة الاتحاد الأوروبي، فلماذا لا نسعى نحن أبناء الشرق على ما بيننا من عوامل التعاون إلى إقامة إطار يجمعنا ؟

ليس ما تقدم هو كل العوامل التي تساعد على تحقيق التعاون بين أبناء هذا الشرق، فبالإضافة إليها فإنه وبفعل وحدة الجغرافيا وتشابك المزاج والطبائع والتاريخ ووحدة الدين أنتج أبناء هذا الشرق حضارة واحدة ساهم الجميع في بنائها ، خاصة أبناء الاعراق الثلاثة، ـ العرب والترك والإيرانيين ـ الذين أسهموا جميعا في بناء الحضارة الإسلامية التي ينتمون إليها ويعتزون بها كما أنهم جميعا يتعبدون بالقرآن الكريم الذي نزل باللغة العربية التي يمكن أن تكون عامل توحيد للمسلمين كافة، خاصة في هذا الشرق الذي ننتمي إليه .

لقد أشرت فيما تقدم إلى عوامل التوحيد والتعاون بين أبناء هذه المنطقة من العالم ، وقبل أن أغادر الحديث عن هذه العوامل لا بد من أن أشير إلى عامل مهم صار الآن لغة العصر ـ أعني لغة المصالح ـ فمن مصلحة هذا الشرق أن يعمل بروح الفريق الواحد للحفاظ على ثرواته، وان يحسن استغلالها

لمصلحته، وأن يحولها إلى نعمة ينمي من خلالها قدراته وإمكانياته بدلا من أن تظل سببا من أسباب النقمة عليه ، لأنها تجر عليه أطماع قوى الاستكبار والهيمنة ، خاصة الغربية منها التي ارتبطت مع هذا الشرق بتاريخ دموي قام على الاحتلال والجشع والاستغلال الذي نعيش هذه الأيام أبشع تجلياته بفعل السياسة الاستكبارية الامريكية التي تقوم على ثلاثة ركائز .

أولها : حفظ أمن واستقرار إسرائيل على حساب الحقوق التاريخية والدينية والقانونية لأبناء المنطقة. وهي السياسة التي تأخذ الآن بعدا عقائديا بسبب سيطرة المحافظين الجدد على القرار الأمريكي ،

وهؤلاء المحافظون يعتبرون قيام إسرائيل تحقيقا لوعد الرب، ومعظمهم يتمنى الاشتراك في معركة (هيرمجدو)الموعودة .

أما ثانية ركائز هذه السياسة فهي : رغبة أمريكا بالسيطرة على ثروات المنطقة ، وخاصة النفط وهذه الرغبة الامريكية هي انعكاس للفلسفة التي قامت عليها الولايات الأمريكية أصلا وهي حب المال، فمن الحقائق التاريخية الثابتة أن الولايات المتحدة الأمريكية قامت على يد المغامرين والمقامرين الباحثين عن الذهب وجمع المال. وقد كان جمع المال وما زال المحرك الأساسي للأمريكيين وللسياسة الأمريكية ومن سوء حظ هذه المنطقة أن فيها مصادر ثروات هامه، في طليعتها النفط الذي يسيل له لعاب الامريكي ، أما الركيزة الثالثة للسياسة الامريكية ، فهي اقتلاع أصحاب الحقوق ، فقد أقام الغربيون الفارون من أوروبا إلى العالم الجديد ، ما يعرف الان بالولايات المتحدة الامريكية على أنقاض وجثث الهنود الحمر أصحاب البلاد الأصليين . لذلك ليس من المستغرب أن ينحاز الأمريكيون إلى كل من يمارس سياسة الاقتلاع كالعدو الصهيوني في فلسطين . وليس غريبا أن يقف الامريكي في الصف المعادي لكل من يحاول الدفاع عن حقوق الشعوب ، وفي الطليعة من ذلك المقاومة في فلسطين ولبنان والعراق .

إن هذا التاريخ الدموي للعلاقة بين منطقتنا والغرب، والذي تجسده السياسة الامريكية كان سببا لمعظم ما تعيشه منطقتنا من تحديات أولها الاحتلال ، الذي بدأت مساحته تتسع في السنوات الأخيرة ، فبعد احتلال فلسطين وإقامة كيان غريب فيها ، جاء احتلال العراق والتهديد بين الفينة والأخرى باحتلال سوريا، وضرب إيران ، وهذا الاحتلال يستهلك جزءا كبيرا من ثروة أبناء المنطقة ووقتهم وجهدهم، وبدلا من أن تنفق الثروة والجهد على البناء والتنمية تهدر على التسلح وعلى اعادة الاعمار لكل ما صار يلحق بدول المنطقة بعد كل معركة وكل حرب ، كما حدث في العدوان الاسرائيلي على لبنان في تموز ٢٠٠٦، وكما حدث في الحرب المستمرة على العراق الذي تنهب

ثرواته من قبل المحتل الامريكي واتساع دائرة الاحتلال يفرض على أبناء المنطقة توسيع دائرة مقاومته ودعم هذه المقاومة لتتمكن من دحر المحتل عبر الحرب الشعبية القادرة وحدها على صناعة النصر على المحتل . وانتصارات المقاومة الإسلامية في لبنان خير برهان على هذه الحقيقة

إن الاحتلال فوق أنه يشكل تحديا خطيرا أمام أبناء المنطقة وسببا من أسباب تخلفها ونهب ثرواتها وانفاقها على غير وجوه التنمية ، فإنه سبب من أسباب فرقتهم لانهم يختلفون على طبيعة العلاقة فيما بينهم وبين هذا الاحتلال ، فغالبيتهم الساحقة ترى أن إسرائيل غدة سرطانية لا بد من اجتثاثها في حين يقيم بعضهم علاقات تعاون وتواصل معها مما يسبب إغاظة للأغلبية ، ويحول دون قيام مسيرة التعاون بينهم ، ولا يختلف الحال كثيرا عن الاحتلال الامريكي للعراق وطبيعة النظرة إليه ، ففي الوقت الذي يقدم فيه بعض أبناء المنطقة الدعم والمساندة للمقاومة العراقية، يضيق عليها بعضهم الآخر الخناق ويتعاون مع المحتل الامريكي للقضاء عليها ، وهكذا أضاف الاحتلال عامل خلاف جديد بين أبنائها هو الموقف من المقاومة سواء في العراق أو فلسطين أو لبنان ، فالذين يختارون الحرية والاستقلال لامتهم ومنطقتهم يقفون إلى جانب المقاومة ويحمونها ، والذين يدورون في فلك المحتل يسعون للقضاء على المقاومة إرضاء للمحتل الذي يريد هذه المنطقة ضعيفة لا تقوى على الدفاع عن نفسها والتصدي لحالة الخلاف حول المقاومة يستدعي نشر ثقافة المقاومة بين أبناء المنطقة ، وتدريبهم عليها وقد وفرت انتصارات المقاومة الإسلامية في لبنان أدله ملموسة على قدرة المقاومة على صناعة النصر ثم التحولات الكبرى في المنطقة. مما يجعلها عامل توحيد لابناء الامة حتى في نظرتهم للمقاومة .

أما التحدي الثاني من التحديات التي تواجه منطقتنا فهو تحدي الضعف. وهو تحد يحرص أعداؤها على إبقائها فيه ويسعون إلى

تكريسه لأن هذا الضعف من أهم أسباب سيطرتهم على هذه المنطقة وسلبهم لثرواتها، ولعل هذا الامر من أسباب نقمتهم على الجمهورية الإسلامية في إيران التي استطاعت خلال سنوات قليلة أن تبني قوة عسكرية رادعة قادرة على حماية حدودها والوقوف في وجه الأطماع الغربية عموما والأمريكية على وجه الخصوص في إيران والمنطقة ، وهو أمر لا يروق للغربيين الذين يشنون حملة تحريض لا هوادة فيها على الملف النووي الإيراني لان إيران مثلما خرجت عبر بناء قوتها العسكرية من تحدي الضعف الذي يواجه المنطقة فإنها وعبر ملفها النووي خرجت من تحد آخر من التحديات التي تواجه منطقتنا وهو تحدي التخلف، فلقد عمل أعداء هذه المنطقة على إبقائها أسيرة لكل مظاهر التخلف ابتداء من تخلف الأمية، حيث تصل معدلات الأمية في المنطقة إلى مستويات عاليه، مرورا بالتخلف الاجتماعي والثقافي ، وصولا إلى التخلف التكنولوجي الذي يشكل الملف النووي الايراني تمردا خطيرا عليه ، وهو التمرد الذي لا يروق للغرب ، الذي يريد أن يظل مسيطرا على منطقتنا تماما مثلما يريد إبقاء الفقر سمة من سمات أبناء هذه المنطقة ، ففي الوقت الذي تعتبر فيه هذه المنطقة من أغنى مناطق العالم بالثروات الطبيعية، فإن الدراسات والأرقام والإحصائيات تشير إلى أن شعوبها من أفقر شعوب الارض واكثرها معاناة من البطالة والتشرد، وذلك بفعل السياسات الاقتصادية الخاطئة التي تفرض على المنطقة وأبنائها الذين صار من بينهم أعلى نسبة من اللاجئين في العالم ، سواء بسبب الحروب او الكوارث الطبيعية او الظروف السياسية التي تعيشها المنطقة ، وهذا اللجوء يعني تخلفا ويعني فقرا ويعني جهلا ويعني بطالة أي كل أسباب منع التنمية والتطور وكل أسباب تكريس التخلف.

إنَ مجموعة التحديات التي أشرنا إليها فيما سلف هي التي يسعى أعداء هذه المنطقة إلى تكريسها. لمنع شعوبها من التعاون على أساس

الجوامع المشتركة التي أشرنا اليها أعلاه . ومن اجل ذلك استخدموا العديد من الوسائل واولها استحضار الخلافات التاريخية التي نشبت بين أبناء المنطقة سواء كانت هذه الخلافات مذهبية نرى الان تجلياتها بوضوح عبر سعى أعداء الأمة إلى الباس الخلافات السياسية في المنطقة لبوسا مذهبيا كما هو الحال في العراق ولبنان والجهود المبذولة للتخويف من ايران باعتبارها دولة شيعية ومن الغريب العجيب أن هذا التحريض المذهبي يجري في الوقت الذي تتم فيه الدعوة للحوار بين الأديان بما فيها اليهودية التي يحتل اتباعها. مقدسات المسلمين . فهل يعقل أن يتم الحوار بين المسلمين واليهود ثم يجري تحريض المسلمين بعضهم على بعض على أساس اختلاف المذاهب القائمة على تنوع الاجتهاد الفقهي أحد أهم علامات عظمة الإسلام الذي يجمع اتباع كل مذاهبه ايمان بالله الواحد وبرسول واحد، وبالكتاب الواحد والحج لبيت واحد ، وصيام شهر واحد والصلاة لقبلة واحدة ، لكنه منطق المستعمر الذي يؤمن بقاعدة فرق تسد ، ولذلك فإنه لا يترك بابا من الأبواب التي يعتقد أنها تفرق أبناء هذه المنطقة إلا ولجه ، فمثلما يحاول أن يثير الفتنة المذهبية بين اتباع الدين الواحد من أبناء المنطقة، فإنه يسعى لإثارة الفتنة الطائفية بين أتباع الديانات المختلفة من شركاء الوطن كما يحدث في لبنان والعراق عندما يحاول الظهور وكأنه حام للمسيحيين من المسلمين شركائهم في الوطن ولعلنا جميعا نذكر كيف صار المستعمر يتدخل في شؤوننا الداخلية من باب حماية الاقليات غير الإسلامية ، وهي الحماية التي صارت تعرف فيما بعد بالامتيازات الأجنبية .

ومثلما سعى المستعمر إلى إبقاء واقع التجزئة في منطقتنا عبر بوابة الفتن الطائفية والمذهبية ، حاول كذلك الدخول من مدخل الاقليات العرقية والدينية، ولعل مشكلة الأكراد التي يلوح بها المستعمر في وجه كل من إيران وتركيا وسوريا والعراق خير مثال على هذا الجهد الدؤوب للمستعمر لابقاء واقع التجزئة من خلال مدخل

الاقليات العرقية والدينية.

لقد أشرنا فيما تقدم من سطور إلى استحضار العدو للخلافات التاريخية في المنطقة على صعيد المذهب والطائفة والعرق، ولكن هذا الاستحضار يمتد ليمثل محاولة استحضار الحروب التي وقعت في مرحلة تاريخية سابقة من تاريخ هذه المنطقة، كحرب الصفويين والعثمانيين لتبقى روح العداء مسيطرة على أبناء هذه المنطقة، فينشغلون بها عن التفكير بعوامل التعاون وبناء فضاء مشترك بينهم يحررهم ويحرر أوطانهم وثرواتهم من واقع التخلف الذي يعيشون فيه.

أن هذه التحديات التي تواجه منطقتنا تفرض على أبنائها الوقوف لحظة صدق مع النفس لتلمس طريق الخلاص من هذا الواقع واستبداله بما هو افضل لمصلحتهم. وعندها سيكتشفون أن المقاومة الشاملة أهم أدواتهم للانتصار على هذه التحديات وللخروج من واقعهم المتخلف والمهزوم.

من الكتاب

❖ «إن النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، والأحكام الفقهية، ووقائع التاريخ الإسلامي، تؤكد بأن المقاومة مكون رئيس من مكونات الأمة الإسلامية».

❖ «إنّ الأصل في المسلم أن يكون مدرباً قادراً على القتال لأن الجهاد في الإسلام تكليفٌ فرديُ، وعملٌ شعبيٌ، تقع مسؤوليته على كل مسلم ومسلمة. وإذا كان التدريب على القتال فرض على كل مسلم ومسلمة، فإن دعم المقاتلين وخاصة في حالة جهاد الدفع هو الآخر فريضة على كل مسلم ومسلمة "من جهز غازياً فقد غزا". ومن هنا نرى أن المقاومة تكليف شرعي للفرد المسلم وللأمة مجتمعة حتى تتمكن من القيام بأمانة التبليغ. فكيف إذا كانت هذه المقاومة في سبيل دفع العدوان عن الأمة وحماية وجودها وحدودها. وتحرير أرضها ومقدّساتها ومسرى رسولها؟!

❖ «ان المقاومة بوجه من وجوهها هي عملية إحياء لروح الجماعة والمسؤولية الفردية، ولروح التضامن، تعيد صياغة الإنسان والمجتمع من خلال الممارسة العملية خاصة على صعيد إعادة بناء ثقافة المجتمع من خلال أدبياتها وسلوكياتها ومؤسساتها».

❖ «لقد كان بناء المجتمع المقاوم هدفاً رئيسياً للقادة المؤسسين [illegible] الإسلامية المعاصرة».

❖ «حتى المؤسسة الأمنية والعسكرية التي تعتبر من أهم [illegible] الصهيوني لم تنجو من داء الفساد الذي يستشري بها ويفتك [illegible] سهلة الاختراق وأكثر قابلية للهزيمة».